اللؤلؤ في الأدب

تأليف

السيد محمد توفيق البكري

شرح وتعليق

عثمان شاكر

الكتاب: اللؤلؤ في الأدب

الكاتب: السيد محمد توفيق البكري

شرح وتعليق: عثمان شاكر

الطبعة: ٢٠٢١

الطبعة الأولى: ١٩٢٧م

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

البكري، السيد محمد توفيق

اللؤلؤ في الأدب / السيد محمد توفيق البكري، شرح وتعليق: عثمان شاكر

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٩٨ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٧ – ٢١٢ – ٩٩١ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٩١٧٨ / ٢٠٢١

اللؤلؤ في الأدب

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.. فهذا كتاب (اللؤلؤ) أودعته المختار من كتاب "صهاريج اللؤلؤ" لنابغة الأعلام، الغني عن التعريف والتبيان، رب الفصاحة والبيان، صاحب السماحة السيد محمد توفيق البكري وليس لي فضل في تأليف هذا الكتاب أكثر من الاختيار، واختيار المرء قطعة من عقله تدل على خلقه وتخلفه. ولقد استجزت لنفسي ما استجازه لأنفسهم المختارون قبلي، فتصرفت في قليل من المختارات بعض التصرف بالتقديم والتأخير والاختصار والحذف، فجاء بحمد الله درة يتيمة في جبين الدهر، نسأل الله أن يوفقنا لخدمة الأدب، فعليه الاتكال وإليه المآل.

عثمان شاكر

(ب)

السيد توفيق محمد البكري

هو نابغة الإعلام السيد محمد توفيق البكري بن علي بن محمد البكري الصديقي العامري الهاشمي، نقيب الأشراف، ولد في جمادي الثاني سنة ١٢٨٧هـ. ولما درس المبادئ الأولية، ألحق في المدرسة العليا التي أنشأها المغفور له محمد باشا توفيق لأنجاله، فتلقى مبادئ العلوم النقلية والعقلية وتعلم اللغة التركية والفرنسية والإنجليزية واشتهر بالنجابة الفائقة بين أقرانه حتى صار أولهم وبعدئذ ترك المدرسة وأخذ يتلقى العلم على يد أساتذته في بيته. وفي سنة ١٨٨٩، تولى مشيخة المشايخ ونقابة الأشراف مكان أخيه السيد عبد الباقي البكري وكان ذلك في حفلة عظيمة في قصر عابدين ثم عين عضوًا بمجلس الشورى والجمعية العمومية واستقال منهما وأنعم عليه بجملة نياشين وميداليات من جهات مختلفة وله جملة مؤلفات تشهد له في طول باعه في علمي البلاغة والأدب.

وقد أصيب السيد منذ مدة طويلة بمرض اضطره إلى مغادرة مصر، فرحل عنها إلى الشام وأقام في مستشفى (العصفورية) في بيروت ولا يزال مقيمًا بها إلى الآن.

(ج)

أقوال الأدباء عنه

رأي المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي:

شاعر فحل، إلا أنك تراه في شعره ممثلًا أكثر منه شاعرًا؛ فهو ينسج ولكن على منوال غيره، ويعدو ولكن في أثر من تقدمه من فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين. فمن شاء أن يشاهد تمثيل رواية الشعر القديم، فليطالع شعر البكري.

رأي الأديب خليل بك مطران:

السيد شغوف بالغريب من ألفاظ اللغة العربية، أذكر أنه بعث في صباه إلى أحد كبراء الشام بكتاب مجاملة فحار في حل رموزه. وجاءني وأنا يومئذ في المدرسة يستعين على فهم ذلك الكتاب، فاستعنا كلانا بالمعجم.

وما زالت هذه الحالة إلى الآن سواء في نثره أو شعره، على أن في ذلك عجبًا؛ لأن السيد مما يشاورون ولكن يغلب على الظن أن الثقاة الذين يرجع إلى رأيهم مثل العلامة الكبير (الشنقيطي) قديما وسواه حديثا، إنما من الذين يمر بهم العصر فيه معجزات الماء والنار والكهرباء والنور وبما يفتن العقول ويأخذ الألباب من كل جميل النظام، شائق

الهندام، بديع التجزؤ والالتئام. كما تمر بالبدوي المقيم في الصحراء خيالات الجن وطمطماتهم في أضغاث الأحلام.

(د)

هذا وللسيد من المقاطيع الشعرية ما لا يدع في معناه مقالًا لقائل ولا مجالًا لجائل، فلو جارى في كثيره قليل، لأصبح قطبًا من أقطاب الزمان بين البلاغة والبيان.

رأي فضيلة الشيخ محمد سليمان:

شاعر فحل من رجالات اللغة والأدب القديم وهو أكثر الشعراء ميلًا إلى القريب، ويشابهه في هذا الباب الشيخ (الشنقيطي) والشيخ حمزة فتح الله، إلا أنه يفوقهما بكثرة فنونه وعلو شعره.

الفـنزج[1] أو البــالو

صفة ليلة من ليالي الشتاء:

ليلة أضحيانة قمراء من ليالي الشتاء وأفق سجسج، كأنه عتاب بين أحباب، وكأنما استدار الزمان وكأن أزار نيسان[2] وقد أخذت "فيينا" زخرفها ولبست رفرفها، وحيثما كنت فأجنحة الطواويس وأرواح الفراديس وأصوات النواقيس[3].

وصف القصر:

ثم قصر على النهر كأنه قصر غمدان أو خورنق النعمان[4] أو السدير أو القصر الكبير[5] أو الزاهر، أو دار بن طاهر أو الجعفري أو الإيوان الكسروي[6].

---

(1) قد أطلق السيد المؤلف كلمة (الفنزج) بدل البالو؛ لأنها كانت مستعملة عند العرب وهو وصف لحفلة رقص أقيمت في قصر فخم في فيينا عاصمة النمسا وقد شاهدها المؤلف.

(2) أضحيانة: مضيئة ، السجسج: الهواء المعتدل .

(3) "فيينا": عاصمة النمسا، الرفرف: الثياب الثمينة، الطواويس: جمع طاووس وهو طائر معروف، الفراديس: جمع فردوس، "المعنى": يقول في ليلة مقمرة من ليالي الشتاء قد صفا جوها واعتدل هواؤها ورق حتى خيل لنا أن الزمان قد استدار وأصبحنا في فصل الربيع ونحن في فصل الشتاء .

(4) قصر غمدان: من قصور ملوك العرب الشهيرة، خورنق النعمان: قصر النعمان بن المنذر بن ماء السماء.

(5) السدير: قصر من القصور المشهورة عند العرب، القصر الكبير كان للخلفاء الفاطميين في القاهرة .

(6) الزاهر: قصر في بغداد، دار عبد الله بن طاهر بن الحسين هو ببغداد وعبد الله كان سيدا نبيلا وكان المأمون العباسي كثير الاعتماد عليه، الجعفري: قصر أبي الفضيل جعفر المتوكل، الخليفة العباسي، كان أجمل القصور فخامة وبنيانا. الكسروي: إيوان كسرى أنو شروان.

دور ومقاصير هذا القصر

قد ارتفعت قبابه في الأجواء، فكأن أبراجه أبراج السماء وكأن كل ردهة بطحاء، وكل روض صنعاء(٧). بلاط وخندق ودارات وديسق، وأبهاء وجوسق(٨) وكهرباء تضيء الأرجاء، كأنها بدر أو فجر.

وصلت إلى ذلك القصر، ففتح الباب وكشف الحجاب، فإذا جنة وحريرًا وملكًا كبيرًا ودنيا في دار وليل ونهار ووجوه تشرق وحلي يبرق وقباب وشراعات ومقاصير وسرادقات(٩). وحي كمطوف القسى وصحون في فسحة الظنون، تقدر بالأفكار لا الأبصار(١٠)، وسقوف من مرمر وأرض من عرعر، وكأن كل سقف لوح مصور، وكل أرض روض منوَّر(١١).

وإذا نظرت إلى غرائب سقفه أبصرت روضا في السماء نضيرا
وضعت به صناعها أقلامها فأرتك كل طريدة تصويرا

وأبوابٌ كأنها في حسنها أبواب من كتاب في مصراعين كماشقين، فتلاقٍ وافتراق:

---

(٧) الأجواء: جمع جو وهو ما بين السماء والأرض.

(٨) أطلق هنا على الخندق وصف للبرك والأحواض التي بداخل القصر، الديسق: الطريق المستطيلة، الجوسق: القصر.

(٩) الشراعات: الرفارف.

(١٠) الحنى: جمع حنية ما أعوج من البناء، الصحون: جمع صحن وهو ساحة وسط الدار.

(١١) العرعر: شجر السر وفارسية، "المعنى": أن النقش على هذه الأبواب كأنه ثياب مدبجة، فمن الظلم أن ترخى عليها الحجب والستور.

فأبوابهـا أثوابهـا مـن نقوشـها　　فلا ظالم إلا حين ترخي ستورها

وإذا الحجرات قد فرشت بأراضٍ[١٢] كأنه قطع الرياض:

بسـط أجـاد الرسـم صـانعها　　وزهـا عليهـا الـنقش والشـكل
فيكـاد يقطـف مـن أزهارهـا　　ويكـاد يسـقط فوقهـا النحـل

ورصفت في جوانبها أرائك وحجل وطوارق وكلل وشوار وإنماط وزرابي ورياط[١٣] ومطارح من ديباج ونضائد من عاج. عليها قطوع من سمور وسنجاب وعروش من إستبرق وزرياب[١٤] في ألوان الحيقطان وأجنحة الفواخث والورشان[١٥].

حتـى اتكـأن علـى فـرش يزنبهـا　　مـن جيـد الـرقم أزواج تهأويـل
فيهـا الطيـور وفيهـا الأسـد مخـدرة　　من كل شـيء تـرى فيها تماثيـل[١٦]

وقد ذكرت في الحيطان صفوف من مشاجب ورفوف عليها آنية عادية وعساس صينية وصحاف وسكرجات، وأجفان وطهرجارات[١٧]. وبين ذلك

---

(١٢) الأراضي: بساط ضخم من صوف أو حرير.

(١٣) الأرائك: جمع أريكة، وهي سرير مزين، الطوارق: جمع طارقة وهي السرير الصغير، الشوار: متاع البيت، الأنماط: جمع نمط وهو ضرب من البسط، الزرابي: كل ما بسط واتكيء عليه، الرياط: جمع ريطة وهي كل ثوب رقيق يشبه الملحفة.

(١٤) الزرياب: الذهب .

(١٥) الحيقطان: طائر جميل المنظر ملون الريش، الورشان: أيضا طائر جميل .

(١٦) أزواج وتهأويل: أي اتصال وألوان من الديباج مختلفة .

(١٧) مشاجب: شماعات . العساس: القدح الكبير . الصحاف: الإناء . سكرجات: هي الصفحة. الجفان القصمة. طهرجارات: أي فناجيل .

مرايا تتقابل، فتجمع الآحاد وتعدد الأفراد. إن وقفتْ أمامها الحسناء، رأيت بدر السماء في عين ماءٍ حسنٍ لا نظير له في البرية، إلا صورته على المأوية[١٨]. فإن انصرفت عنها، تركتها كربع خلاء أو صحيفة بيضاء أو قلب ذي ملالة لا يثبت فيه إلا ما كان حياله. وقام في الأركان تماثيل وتصاوير وأنصاب وقوارير مما صنع (أو فرباخ) (ومليسونيا) (ولمباخ) فكأنما الدارزون أو معرض فنون[١٩]. وقد وضع في الأبهاء موقد للاستطلاع كأم الجمر فيها نظر محنق أو نار المحلق[٢٠] وكأن الرماد عليه عثير[٢١] وأحاط بالدار نوافذ وطاق، تطل على الآفاق وتنتظر الروض والمدينة والزينة[٢٢].

فمن شهب تمتد في الجو مصعدًا	وتلـوي علـى جنبيـه مثـل الأراقـم
وتمطـــر فيـــه لؤلـــؤًا وزبرجـــدًا	شـآبيب منهـا سـاجم بعـد سـاجم
فطــورا تــرى أن الســماء حديقــة	تفــتح فيهــا النــور بــين الكمــائم
وحيمت نرى أن الحديقة في الدجى	سـماء تهـأوي بـالنجوم الـرواجم[٢٣]

---

(١٨) البرية الكون . المأوية المرآة .

(١٩) الربع: الدار أو المنزل، الخلاء: الخالي. الملالة: السامة والضجر، القوارير: جمع قارورة وهي الإناء من زجاج أو غيره.

(أوفرباخ): مصور مشهور، (ميسونيا): مصور فرنسي شهير، (لمباخ) مصور مشهور، الزون موضع تجمع فيه الأصنام وتنصب وتزين .

(٢٠) المحنق: المغتاظ.

(٢١) المثير: الغبار.

(٢٢) الطاق: النافذة.

(٢٣) الشآبيب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر. النور: الزهر. تهاوي: تساقط. الرواجم: السواقط.

أما الأضواء والأنوار. فالشمس في ضحوة النهار قد علقت بالسقوف وتألقت في الرفوف. وتلونت كالأزهار وتشكلت كالأثمار وتدلت بينها البريات كأنها أشجار مفتحة النوار وكأن أقباسها آذان جياد أو عيون جراد أو قطع أفلاذ أو صفائح فولاذ أو ذبال على أسل أو مرآة في كف الأشل[٢٤].

فيـا لـك مـن ليـلٍ كـأن نجومـه   بكـل مغـاز الفتـل شـدت بيـذبل[٢٥]

---

(٢٤) الثريات: المنارات التي تعلق وينبعث منها النور وهي المسمى بالنجف. الأفلاذ: جمع فلذة وهي القطعة من الذهب. الذبال: جمع ذبالة وهي لسان الشمعة. الأسل: الرماح. الأشل: المصاب بالشلل.

(٢٥) "المعنى": يقول فيا عجبا لك من ليل كأن نجومه شدت إلى يذبل وهو الجبل بكل محكي القتل.

جمال النساء في باريس

حسان هذا القصر:

والخرد الحسان كاللؤلؤ والمقيان. من كل عطبول رفلة أو أسحلانة ربلة أو خليف بهتانه أو رهرهة فينانة أو لاعة سيفانة(٢٦).

صدور أو صدور البزاة البيض وسواعد كأنها شماريخ من ماس أو مرمر نحته فدياس(٢٧) وعيون كأن بين أهدابها رام من بني ثعل(٢٨) أو أسد بين طرفاء وأسل أوانها نرجس عطشان أو سيوف تقتل وهي في الأجفان. وقد امتزج فيها الفتر بالحور، فهي سكرى ولا مدام، ووسى ولا منام(٢٩) وفم كأنه أقحوانة لم تتصوح ووردة لم تتفتح، يضحك عن جمان ويتنفس عن ريحان وينطق عن ألحان(٣٠) وخدود كنار أو تفاح أو ماء

(٢٦) الخرد: جمع خريدة وهي المرأة الحية، المقيان: الذهب الخالص، المطبول: المرأة الجميلة الممتلئة الطويلة العنق. الرفلة: التي تجر ذيلها جرا حسنا. الأسحلانة: طويلة الشعر، الربلة الضخمة، الخليف المرأة التي أسبلت شعرها لمخلفها، البهتانة: الطيبة النفس والريح واللينة في عملها ومنطقها والضحاكة الخفيفة الروح. الرهرهة الناعمة البيضاء الحسنة لون البشرة، الفينانة التي شعرها حسن طويل . اللاعة الحديدة الفؤاد والشهمة. السيفانة الطويلة الضامر .

(٢٧) الإغريض: الطلع . البزاة جمع بازي وهو طائر أبيض اللون. "فدياس": نحات ومصور يوناني قديم يضرب به في حذقه وصنعته.

(٢٨) بنو ثعل: قوم من العرب اشتهروا بسداد الرمي حتى ضرب بهم المثل .

(٢٩) الفتر: الضعف، الحور: شدة بياض العين وشدة سوادها. الوسى: الفاترة الطرف.

(٣٠) لم تتصوح: لم تيبس. الجمان: اللؤلؤ.

وراح أو الشفق في الصباح[٣١]، ورد يفتحه النظر ويشمشه الخفر، كأن حياؤه الجلنار وبياضه ماء واقف جارٍ[٣٢]:

إذا مشيت على الحصباء صيرها شعاع خديك ياقوتًا ومرجانًا[٣٣]

ما عليهن من الوَشي والأكسية:

وقد اتَّشحن برودًا من إبريسم وخز واستبرق وقز، كأنها قراق السراب أو برود الشباب، وكأن ألوانها أصيل شف عنه غمام أو أشعة الشمس في أطواق الحمام[٣٤].

حُليهن:

وعليهن الحلي من أربة وداح وبارج ووشاح وقرمل وعضاد، ونقرس وزراد[٣٥]خاتم فارد. كأنه عطارد وسوار لماع، كأنه الهلال في الذراع.

---

(٣١) الأخدود: الحفر في الأرض؛ "المعنى": يقول إن لهن خدودًا حمة كالنار المتقدة أو كالتفاح في حمرته أو الراح الممزوجة بالماء أو كحمرة الشفق عند الصباح.

(٣٢) يشمشه: أي يرفقه . الخفر: الحياء . الجلنار: زهر الرمان.

(٣٣) "المعنى": يقول إنك أيتها الحسناء إذا مشيت على الحصباء أكسبتها لون خديك لإنعكاس الضوء عليها، فصار قطعها كقطع الياقوت والمرجان.

(٣٤) اتشحن: لبس الأوسمة . الإبريسم: الحرير. الخز: اسم دابة ثم أطلق على الثوب المتخذ من دبرها. الاستبرق: غليظ الديباج. القز: صنف من الحرير. رقراق السراب: ما تلألأ منه برود الشباب؛ كناية عن غضاضة الصبار ونضارته.

(٣٥) الأربة: القلادة. الداح: السواد . اليارج: قلب المقد، الوشاح: بالضم كرسان من لؤلؤ مقطوف أحدهما على الآخر. القرمل: ضفائر من شعر أو حرير تصن به المرأة شعرها. النقرس: شيء من الورد تغرزه المرأة في رأسها.

الموسيقى:

ثم صدحت الموسيقات وترنمت الكنارات من دربج وصنج وزمخر وونج[٣٦].

فكأنما جأوب البلبل الهزار في الأسحار وشدا مخارق وزنام بالأنغام[٣٧] وكأنما تلك الأصوات نسيم عليل والقوم أغصان، وكل آلة صور إسرافيل ينفخ الأرواح في الأبدان[٣٨] وإذا بالفتيان والغيد الحسان والأسوار وذات السوار، قد وثبوا للفنزج في المدرج[٣٩].

---

(٣٦) الدربج: شيء كالطنبور يضرب به. الصنج: صفحتين يضرب بهما على الآخر. الزمجر: مزمار كبير أسود. الونج: ضرب من الأوتار.

(٣٧) مخارق: من المغنيين المشهورين في الدولة العباسية. ورنام: هو أحد الزامرين المشهورين.

(٣٨) "المعنى"؛ يقول إن كل آلة من آلات الغناء صور إسرافيل. فإذا نفخ فيه، فكأنما إسرافيل ينفخ الروح في الجسم للحياة الأخرى.

(٣٩) الغيد: جمع غيداء وهي المرأة اللينة. الأسوار: الوجيه من الناس. ذات السوار كنأية عن المرأة. الفنزج: رقص للعجم يأخذ بعضهم بيد بعض.

المرقص

أثناء الرقص:

وإذا فلك يدور بالكوكب من الكواعب وإذا إعصار أو حرف جر أو مهاري في خبب أو نجوم ذوات ذنب[٤٠].

فناهيك بسير النضناض على الرضراض[٤١] أو مشي القطا لكدري في الدمث الندى[٤٢] ونقرة السرب للشرب، حركات كأنها لخفتها سكون وسير كسير الشمس لا تستبينه العيون.

وأمشاط لا تكاد تمس الأرض كأنها آس يجس النبض[٤٣].

---

(٤٠) يقول لما أخذن في الرقص، فإذا هن كالفلك الدائر بالنجوم أو الإعصار وهي الريح التي تلتف على نفسها أو إنهن مهاري يمشين الخبب لاهتزازهن ساعة الرقص أو أنهن النجوم ذوات الذنب وهي أذيالهن المجررة ورائهن.

(٤١) النضناض: الحية العظيمة. "المعنى"؛ أن حركاتهن أثناء الرقص مختلفات، فمنها ما أشبهت سير الأفعى على الحصى، فإنها تتلوى وتعتدل وتنطوي وتنتشر.

(٤٢) القطا الكدري: طائر في حجم الحمام صوته قطا قطا . الدمث الندى: المكان ذو الرمل اللين .

(٤٣) الامشاط: جمع مشط وهو القدم. الآس: الطبيب؛ "المعنى" كأنهن لخفتهن وسرعة حركاتهن في الرقص يكدن ألا يمسسن الأرض كما يحبس الطبيب نبض المريض بخفة ولين.

وكأنما الخصور ماء والصدور هواء والأعناق أطواق والسواعد مسائد والألحان ميزان(٤٤)

من كل مائسة الأعطاف يجذبها(٤٥): موارد دعص من الكثبان ممطور(٤٦)
تـرى الضـرب بكفيهـا وأرجلهـا وتحفـظ الأصـل مـن نقـصٍ وتغييـرٍ
وتغـرب الـرقص مـن لحـن فتلحقـه مـا يلحق النحو من حـذف وتقـدير
وفي يديها غضيض الطرف ذو هيف صاحي اللواحظ يثني عطف مخمور
تظلمـت وجنتـاه وهـي ظالمـة وطرفـه سـاحر فـي ذي مسـحور(٤٧)

البوفيه:

ولما انتصف الليل شطرين وأمسى بين وبين، رفعت الرياط من قاعة السماط(٤٨)، فإذا زخاري وراء وزبوج وبهاء وبنود تخفق وتهأويل تألق وصحاف من جزع وجام من ينع وغرب وأكواب، وصراحيات

---

(٤٤) "المعنى" يقول إن الخصور في لينها ماء والصدور في رقتها ساعة الرقص هواء. وقد التف العنق بالعنق، فصار له كالطوق. والقوى الذراع فأضحى له كالمسند وأن الحان الغناء كالميزان تزن به الرقص خوفا من خروجهن عن أصوله.

(٤٥) المائمة: المتبخرة. الأعطاف: جمع عطف وهو الجانب.

(٤٦) الموار: المائج المضطرب.

(٤٧) "المعنى": أن كل واحدة منهن مائلة العطف إذا قامت جذبها كفل رجراج يكاد يقعدها، فهي تراعي الرقص حركات الضروب من الشعر الملحن على الأنغام بيديها ورجليها ويرقص معها شاب فاتر اللحظ. وإذا حمرت وجنتاه من الرقص، فكأنما تظلمتا من التعب وكذلك يرى أنه مسحور وهو الساحر.

(٤٨) الرباط: جمع ربطة وهي الملاءة. السماط: أي سماط الطعام.

وعلاب وقذمور وورسي وخزف صيني(٤٩).

وفي كل ركن روضة معشية وبنانة مخصبة ونور دجة نوار ورعلة أرطاب وأزهار، فكأنما القاعة جونة عطار أو أيكة غب قطار(٥٠).

وبين ذلك سماط المعو في قاعة الذهب وجفنة ابن جدعان في العرب(٥١) وقطع من نون أو لحم طير مما يشتهون وطباهجة وخوذاب وصلائق وصناب والسلج والرشراش والقتن والهشاش(٥٢) والفانيد والمسير، واللوزينج والمزعفر(٥٣) وأثمان جنية من مشلوز وملاحية وجوح

(٤٩) الزخاري: يريد الزخرف. الرواء: حسن المنظر. الزبرج الزيمة: البهاء الحسن، والظرف: البنود جمع بند وهو العلم، التهأويل الزمينة والتصأوير والنقوش . تألق أي تضيء وتلمع . الجام الاناء . الينع المقيق والغرب القدح . الصراحيات: آنية للخمر. الغلاب: أقداح ضخمة . الورسي: أقداح من النضار.

(٥٠) البنانة: الروضة، النوردجة: الطبق الذي يوضع عليه الأزهار. الأيكة: الشجرة . غب القطار: أي بعد المطر.

(٥١) المعز لدين الله الفاطمي أحد الملوك الفاطميين كانت له قاعة تسمى قاعة الذهب يضع بها ما اشتهر من السماط. ابن جدعان من أشراف قريش .

(٥٢) النون: الحوت . الطباهجة: طعام من بيض وبصل ولحم مشرح، الخوذاب: نوع من أنواع الطعام، الصلائق: قطع مشواة من اللحم، الصناب: الخردل بالزبيب، السلج: أصداف بحرية. الرشاش: اللحم الخارج من الفرن تقطر مادته . القتن: سمكة عريضة. الهشاش: خبز لين.

(٥٣) الفانيد: صنف من الحلوى. المسير: صنف من الحلوى. اللوزينج: صنف حلو يشبه القطائف.

صنوان. ومن كل فاكهة زوجان[٥٤] ورحيق من قرقف وقنديل ودازي وسلسبيل في ريح العنبر والورد ومزاج العطري والبند [٥٥]. موائد لا يفي ما عليها ولا ينفد كأنه نعيم أهل الجنة، كلما فنيَ يتجدد[٥٦].

---

(٥٤) المشلوز: المشمش الحلو، الملاحية: العنب، الحوج: جمع جوحة بطيخة شامية، صنوان: أي متجاوران.

(٥٥) الرحيق: الخمر، القرقف القنديل: من أسماء الخمر، الدازي: الخمر أيضا، السلسبيل مثله، العطري: أطيب الماء ، البند: الذي يسكر من الماء وهي كلمة لغوية نفيسة.

(٥٦) "المعنى"؛ أن هذه الأطعمة لكثرتها كلما فرغ شيء، جاءوا بغيره. فكانت كطعام أهل الجنة، كلما فنى يتجدد غيره، وهذا معنى حسن جميل.

الخمر

الشراب وقواريره:

خمر كأنها الزبخ أو المريخ، عين الشمس في كأس وياقوت مُذاب في أكواب[٥٧] شعلة شعلاء يوقدها الماء برق في غمامة وورد في كمامة[٥٨] مني ومنون، وريق ليلى في فم المجنون[٥٩] كأنها سراج يوقد في زجاج أو إكسير أو دمع طليق على أسير أو دينار منقوش أو ورق البردقوش[٦٠] أو عمود من صباح بين السقاة والأقداح وكأن حببها عقد أو دمع على خد[٦١]، أو لام الماء حسام[٦٢] منظار يكبر المحسوس في

---

(٥٧) الذبخ: كوكب أحمر، المريخ: كوكب من كواكب السماء.

(٥٨) الشغلاء: المتوقدة. الكمامة: الغلاف الذي ينشق عن الثمر .

(٥٩) المنى: جمع منية ، المنون المنية وهي الموت . ليلى: هي بنت سعد بن مهدي. المجنون: قيس بن الملوح بن مزاحم وقصة المجنون مع ليلى أنه كان يهواها وهما صبيان، فعلق كل واحد منهما بصاحبه وهما يرعيان مواشي أهلهما. فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه ثم بعد ذلك زوجها أبوها من غيره، فعلم ذلك فاختبل عقله فأُطلق عليه المجنون.

(٦٠) البردقوش: نبت دقيق الورق عطري الرائحة. "المعنى"؛ أنها لضيائها المنبعث منها كأنها عمود من نور بين الساقي والكأس.

(٦١) الحبب: الفقاقيع التي تلو الخمر .

(٦٢) اللام: جمع لامة وهي الدرع.

النفوس. إن فرح وإن ترح [٦٣] تبعث على الصدق في النطق، فتعقد اللسان للكتمان[٦٤] تحكم في العقل حكم من جار أو حكم الزمان في الأحرار[٦٥] شرب يلذه غير الظمآن ولا يروى المرء منه وهو صديان، وسقى بنبت الورد في الخدود والرنح في القدود[٦٦] كأنها في النفس روح الرجاء وراحة اليأس[٦٧] منطاد يخرج بالنفوس من هذا العالم المنكوس، جمر ولا شرر، نفع أقل من ضرر[٦٨].

انتهاء الليل وانصراف الناس:

ولما همَّ الليل، بطيء الذيل، وأشرف الظلام على الانصرام، هب الأضياف للانصراف. فإذا كل إنسان يتكلم بترجمان وينظر إلى الأنام بعين إنسانها قد نام، نثبت في خلج وتماسك في فلج[٦٩]. وإذا زهر منثور ودخان منشور وقدح مكسور وجميل مخمور. وليل كالغداف وندى

---

(٦٣) المنظار معروف. الترح: الحزن. "المعنى"؛ يقول هي لشرابها كالمنظار إذا وضع على العينين، فإنه يكبر ويجسم كل شيء. فإن كان فرحا، فالفرح عظيم. وإن كان حزنا، فالحزن يجعله جسيمًا.

(٦٤) "المعنى" يقول إنها أي الخمر تبعث شاربها على الصدق ثم تعقد لسانه كي لا يبوح بأسراره.

(٦٥) أي تحكم على العقل حكم الظالم فتفسده أو حكم الزمان في الأحرار.

(٦٦) الصديان: الظمآن . الرنح: التمايل من السكر .

(٦٧) أي كالرجاء والأمل في إثلاجهما للصدور. وراحة اليأس: أي عندما يعسر عليه مطلب ولم ينله.

(٦٨) لقد ختم المقال بأن نفعها أقل من ضررها وكثيرا ما وصفه الشعراء الخمر لمجرد الوصف والخيال لا لتحسينها.

(٦٩) طي الذيل: كناية عن انتهائه، الخرج: الاضطراب، الفلج: تباعد ما بين القدمين.

يبل الطراف، وقر لو رميت فيه كأس الرحيق، عاد عقدًا من عقيق[٧٠].

وكواكب كأنها أعين حول أو زهر مطلول أو عقد منتثر أو جلد نمر. فما زال الجمع ينصرف والليل ينكشف، حتى بدا الصباح في التخوم بين النجوم كأنه غدير منبجس، في روضة نرجس[٧١] أو سيل على نوار أو ملاءة، جمعت لؤلؤ النثار فغاب في ذلك الضياء كواكب الأرض والسماء[٧٢].

---

(٧٠) مخمور: أي غلب عليه السكر، الغداف: غراب ضخم الجناحين أسودهما، الطراف: الثوب، القر: البرد.

(٧١) الغدير: النهر الصغير، المنبجس: المنفجر.

(٧٢) طمي: ارتفع، الملاءة: ثوب يلبس على الفخذين، النثار: النقود التي تنثر في المواسم.

الرحلة إلى القسطنطينية

نهضت من القاهرة المعزية، قاصدًا القسطنطينية. وهي بلد الإمام ومدينة السلام ودار خلافة الإسلام، فركبت سفينة عدولية إلى الثغور الفرنجية، فجرى بنا الفلك في خضم عجاج، ملتطم الأمواج، أخضر الجلد، كأنه إفرند[73] بحر عباب، لا يقطعه الخليل بأوتاد وأسباب، تصطحب فيه النينان وتضطرب الدعاميص والحيتان[74].

سير السفينة في البحر:

وأخذت السفينة تشق اليم شق الجلم، في ريح رخاء أو زعزع[75] ونكباء، فهي تارة في طريق معبد وميث مطرد، وطورًا فوق حزن وقردد وصرح ممرد. فبينما تنساب كالحباب، إذ هي تلحق بالرباب وتحلق كالعقاب، فتحسبها تارة تحت القتام جبلًا تقشع عنه الغمام،

---

(٧٣) سفينة عدولية: أي ضخمة، الخضم: البحر عجاج كثير الأصوات.

(٧٤) الخليل: المراد به الخليل بن أحمد الفراهيدي. كان إمامًا في النحو وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود، الوتد ما كان في العروض على ثلاثة أحرف، النينان: جمع نون وهو الحوت، الدعاميص: من دواب البحر. "المعنى"؛ أن هذا البحر ليس من أبحر العروض التي وضعها الخليل وقطعها بأوتاد وأسباب، وإنما هو بحر لجي تضطرب دوابه وتصطخب.

(٧٥) الجلم: المقراض، زعزع: التي تزعزع الأشياء؛ أي تحركها.

وتخالها مرة عائمًا على شفا قد غاب الأهامة أو كتفا[٧٦].

وصف البحر:

والبحر أونة كالزجاج الندى أو السيف الصدى، يلوح كالصفيحة المدحوة أو المرآة المجلوة[٧٧] وحينًا يضرب زخاره ويموج مواره، فكأنما سيرت الجبال وكأنما ترى قبابًا فوق أفيال[٧٨] وكأن قبورًا في اليم تحفر وألوية عليه تنشر، كأن العد يمحض عن زبد وكأن الدوى من جرجرة الآذى زئير الأسد وهزيم الرعد[٧٩].

الأصيل في الماء:

فإذا كان الأصيل وسري النسيم العليل، رأيت البحر كأنه مبرد أو درع مسرد أو أنه مأوية، تنطر السماء فيها وجهها بكرة وعشية. وكأنما كسر فيه الحلي أو مزج بالرحيق القرطبلي[٨٠] وكأنما هو قلائد المقيان

---

(٧٦) المعبد: المذلل، ميت: أرض سهلة، المطرد: المستقيم، الحزن: ما غلظ من الأرض. القردد: الأرض الغليظة، ممرد: أملس، تنساب: تمشي مسرعة، الحباب: الحبة، الرباب: السحاب، القتام: المراد به هنا الدخان، تقشع: تنكشف. الهامة: العنق.

(٧٧) الصفيحة: السيف، المدحوة: المبسوطة، المجلوة: المصقولة اللامعة.

(٧٨) زخاره: الموج المضطرب.

(٧٩) العد: بالكسر البحر، يمحض: يحرك، الجرجرة: الصوت، الآذى: الموج.

(٨٠) الأصيل ما بعد العصر إلى المغرب . المأوية المرآة . القرطبلي: خمر منسوب إلى قرطبل وهو موضع بالعراق تنسب إليه الخمر.

أو زجاجة المصور يؤلف عليها الأصباغ والألوان[٨١]. حتى إذا أخضل الليل وأرخى الذيل.

وصف الهلال:

بدا الهلال كأنه خنجر من ضياء يشق الظلماء أو قلادة أو سوار غادة، أو سنان لواه الضراب أو الليل فيل وهو ناب[٨٢] أو عرجون قديم، أو نون من خط بن المديم[٨٣] أو برثن ضيغم أو مخلب قشعم[٨٤] أو ماء خرج من أنبوب في روض أو ثمد في أسفل حوض أو وشي مرقوم أو دملج من فضة مقصوم، أو قلامة ظهر أو صنار في شبك في بحر[٨٥]:

أيا ضوء الهلال لطفت جدا ... كأن في فم الدنيا ابتسام
يحبب لي سناك العشق حتى ... يصاحبني وأصحبه الغرام

الليل والنجوم:

ثم إذا غاب الهلال وتوارى في الحجال، ألفيت الكون من السواد

---

(٨١) المقيان الذهب "المعنى" شبه الماء تحت ضوء شمس الأصيل بقلائد الذهب والزجاجة التي يطبع عليها المصور ألوان الاصباغ .

(٨٢) أحضل أظلم . السنان نصل الرمح .

(٨٣) العوجون أصل المذق الذي يعرج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا . ابن العديم كان شهيرا بحسن الحظ وله مؤلف نفيس في الخط وعلومه وآدابه ووصف ضروبه وأقلامه توفى سنة ٦٦٦ هجرية ودفن بسفح المقطم بالقاهرة .

(٨٤) الضيغم السبع . المخلب الظفر . القشعم النسر الكبير .

(٨٥) الثمد الماء القليل لا مادة له . الوشى نقش الثوب. المرقوم أي خططه وأعلمه . الدملج حلى يلبس في المعصم . مقصور مكسور .

في لبوس حديد أو لباس حداد. وكأنما الماء سماء والسماء ماء، وكأن النجوم در يموج في بحر أو ثقوب في قبة الدبجور، يلوح منها النور، أو سكاك دلاص أو فلق رصاص[٨٦] أو عيون جراد أو جمر في رماد، أو الماء صفائح فضة بيضاء، سمرت بمسامير صغار، من نضار[٨٧]. فلا تفتأ السفينة تكابد الويل من البحر والليل، حتى يلوح من الأفق الضياء، كابتسام الشفة اللمياء. فإذا السفينة كأنها سر كتمه الظلام وكشفه الضرام[٨٨].

الغذاء:

وكان غذاؤنا فيها قطعًا من نون ولحم طير مما يشهون، وفاكهة وأبًّا وماء عذبا، وفانيذا مروقا وجلابًا مصفقًا[٨٩].

الشراب:

أما الشرب من الركب، فيطوف عليهم سقاة كجماع الثريا، بأقداح الحميا[٩٠] وفي كل مكان أرائك وإيوان وأضواء تبهر وشموع تزهر وناي ومزمر وحديث وسمر، فكأنما نحن في المدينة لا في السفينة وفي

---

(٨٦) الحجال الستر . اللبوس الدرع . السكاك المسامير. الدلاص الدرع الملساء اللينة .

(٨٧) النضار: الذهب.

(٨٨) الضرام: الضوء.

(٨٩) النون: الحوت. الأب: المراد به هنا الخضر. الجلاب: المسل أو السكر . (فارسي معرب) المصفق: المصفى.

(٩٠) الشرب جماعة الشاربين . الحميا: الخمر.

أندرين أو جدر، لا في ذات ألواح ودسر[٩١]. وبعد ثلاثة أيام وكسر، قضيناها في البحر، وصلنا إلى أوروبا. فإذا أرض أريضة وبلاد عريضة وجنة وحرير وملك كبير.

كبــرت حــول ديــارهم لمــا بــدت منها الشموس وليس فيها المشرق[٩٢]

ثم بعد برهة من الزمن، نهضنا للظعن ورحلنا إلى القسطنطينية[٩٣]. وأبور البر أثناء السير، فركبنا إليها وأبور البر في ليلة عرية، فسرى بنا وكأنه ثعبان، به عينان تقدان، ينساب في القيمان ويلتوي على الرعان[٩٤]. أوانه مبتدأ متعدد الأخبار أو كلم مجرورة بحرف جار، أو أنه بيت ذو تقطيع، من البحر السريع[٩٥] فتارة وعل على الجبال، وأخرى جدول بين الادغال، وأونة ينطلق كالجواد، ومرة كالجراد[٩٦].

وقد يدور في الصعيد كخذروف الوليد، إن ارتقى فدعوة

(٩١) أندرين: قرية بالشام كثيرة الخمر. وجدر أيضا بين حمص وسلمية. دسر: أي السفينة.

(٩٢) قد استشهد السيد المؤلف بهذا البيت حينما رأى حضارة أوربا وأبصر شمس العلم مشرقة في المغرب وهو ليس موضع شروقها. وهو غاية في حسن الاستشهاد .

(٩٣) البرهة: الزمان الطويل، الظعن: السير.

(٩٤) العرية: الباردة ، ينساب: يمشي مسرها ، الفيعان: جمع فاع وهو أرض سهلة. الرعان: جمع رعن وهو مقدم الجبل الطويل.

(٩٥) "المعنى" شبه الوابور وجره لعرباته بمتدأ متعدد الاخبار وبكلم مجرورة بحرف جار وكذلك القطار في غرفة بالبيت الشعر اذا قطعت كلماته بالوزن . والبحر السريع بسرعة الوابور .

(٩٦) الوعل تيس الجبل ، الادغال الشجر الكثير الملتف .

المظلوم[٩٧]. اسرى في الليال من طيف الخيال، وأمضى في الذهاب من المقاب. (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) [٩٨]،كأنه غراب البين إن نعب ففرقة بين اثنين، فما زال يطوي المنازل طي السجل، بين ارتحال وحل، إلى أن وصلنا دار السعادة، والقينا بها عصا الوفادة .

---

(٩٧) الخذروف شيء يدوره الصبي بخيط فيسمع له دوي وهي اللعبة التي تسميها العامة النحلة .

(٩٨) هذه أية من القرآن الكريم .

جامع أيا صوفية

في القسطنطينية اليوم محال، تشد إليها الرحال وتضرب بها الأمثال. فمن ذلك (أيا صوفية) وما أدراك ما هي، مسجد كأنه هيكل لجبل قد طرح تربه ورضامه وركبت أحجاره وعظامه[٩٩] قبة جوفاء، كأنها قبة السماء. فإن أوقدت، رأيت بها الكواكب غير سائرة والأفلاك غير دائرة ودعائم غير دعامة، كالحق استقامة[١٠٠] وأرض من مرمر الآق وحجر براق، يصف ما يحيط به من الأشياء، فكأنه وجه مرآة وضاء وكأنما تلتمع السيوف في تلك السقوف ويكاد يُرى القمر في ماء ذلك الحجر إلى محاريب وحنايا وخبايا وزوايا، كأنها مما صنع الجن لسليمان بالصفاح والصفوان[١٠١].

فإن دخلته في العشاء الآخرة، أبصرت الشموع صنوان وغير

---

(٩٩) أيا صوفية: مسجد عظيم بالأستانة. كان كنيسة للروم قبل فتح القسطنطينية، فلما دخلها المسلمون، جعلوها مسجدًا. الرضام: صخور عظيمة.

(١٠٠) جوفاء: مؤنث الأجوف، وهي من الدلاء الواسعة.

(١٠١) الآق: لماع وأصل الالاق البرق الكاذب الوضاء: الحسن النظيف . الحنايا: أصل الحنية القوس وجمعها حنايا، الصفاح: حجارة. عراض: رقاق. الصفوان: جمع صفوانة وهي الحجر.

صنوان[١٠٢] كأنها رماح. وفي كل رمح سنان وكأن أقباسها نضنضة الحيات أو إشارة السبابة في التحيات، ورأيت الناس بين ركع وسجد وأيقاظ وهجد، سيب ما زالوا يغسلون بالوضوء السواد، حتى محي محو المداد. وشباب قيام للصلاة كسطر في كتاب، والكل يجأرون بدعوة الإسلام تحت أستار الظلام[١٠٣].

---

(١٠٢) الصنوان: أصله النخلتان . أقباس: جمع قبس وهي الشعلة تؤخذ من معظم النار.
النضنضة: يقال حيه نضناضة ونضناض لا يستقر في مكان ونضنضتها تحريكها للسانها.
السبابة: الإصبع التي تلي الإبهام لأنه يشار بها عند السب.

(١٠٣) جار: رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث.

خليج البوسفور

خليج كأنه سيف مسلول أو سجنجل مصقول[١٠٤]. وعلى شاطئيه قرى ودساكر ورساتيق ومقاصر وقصور بيض على الخضراء، كالنجوم في السماء أو أشرعة فلك في ماء. وكأن كل شاطئ منهما قد أنهت المحاسن إليه، فلا يفضل أحدهما على الآخر إلا لكونه يطل عليه. فإذا رأيت ثم رأيت حين دلوك الشمس وقد شعشع نورها كل بناء وغرس وقد عكس في الماء صور ما يحيط به من الاشياء، أبصرت في الماء قبابًا من ذهب وأهله من لهب وكثبانًا من زمرد ووديانًا من زبرجد وجبالًا وإيفاعًا وحصونًا وقلاعًا وسدرًا ودلاعًا [١٠٥]وسقوفًا من جوهر وعمدًا من مرمر، صرحًا من قوارير[١٠٦] وتماثيل وتصاوير ودورًا وحورًا، ونارًا ونورًا وحللًا تطوى وتنشر، وسيوفًا تُغمد وتُشهر وأقمارًا تصاغ وتكسر، فكأنما تقرأ في البر قصيدة من الشعر، وتنظر في البحر فانوسًا من سحر.

---

(١٠٤) السجنجل: المرآة .

(١٠٥) الدساكر: جمع دسكرة وهي الأرض المستوية. الرساتيق: جمع رستاق وهو القرية (فارسي معرب). المقاصر: جمع مقصورة وهي الناحية من الدار. الدلوك: غروب الشمس أو إصفرارها أو ميلانها. شعشع: أضاء. الكثبان: جمع كثيب وهو التل من الرمل. أيقاع: جمع يقع وهو التل. الدلاع: كرمان ضرب من مجار البحر.

(١٠٦) الصرح: القصر وكل بناء عال، القوارير: أوان من زجاج في بياض الفضة.

منتزه البندلر

وكم على سيف الخليج من روض وثيج ومرأى بهيج ورساتيق ورعان وخليج وغدران، فكأنما هذا المكان شعب بوان أو روضة من رياض الجنان[١٠٧]. ومن أبهر ما يجلي للنظر من تلك المياه الخضر، منتزه (البندلر)؛ وهو رياض في رياض وبساتين وحياض ووهاد وأنجاد ونجاف وأسناد[١٠٨]، وأطيار تصدح وأمواه تنضح وأعطار تنفخ. وكأنما في كل ناحية لوح مصور أو برد محبر أو وشي على قز أو فسيفساء مفروشة أو دنانير منقوشة[١٠٩].

وقد حف الشجر الدواح بتلك البطاح، فمن شوع ودرماء وخلاف

---

(١٠٧) السيف بالكسر ساحل البحر وساحل الوادي . الرساتيق جمع رستاق وهو السواد أو القرى، الرعان أنف الجبل أو الجبل الطويل ، الوتيج الكثير الملتف ، شعب بوان أحد المنتزهات المشهورة .

(١٠٨) " البندلر" هو روض وارف الظلال ملتف الأشجار مهدل الأغصان منبثق المياه قد أورقت أغصانه وأينعت أزهاره وقد اتخذته أهالي الاستانة متنزها لهم في أوقات فراغهم . الوهاد جمع وهدة وهي الأرض المنخفضة . الانجاد جمع نجد وهو ما أشرف من الأرض . النجاف جمع نجف وهو مكان لا يعلوه الماء، الاسناد هو جمع سند ، ما قبلك من الجبل وعلا .

(١٠٩) المحبر المزخرف . الطراز علم الثوب معرب ، الخز من الثياب معروف . الفسيفساء قطع صغيرة من الرخام ملونة يؤلف بعضها إلى بعض ثم تركب في حيطان البيوت من الداخل .

وطحماء وريحان نضر وعيدانة مرجحنة من سدر[١١٠]. وقد تلاحقت غصونها وتعرشت خيطانها وفنونها وخطب بينها العرفج وأزهر الياسمين والبنفسج[١١١]. فكأن تحت كل عرش إيوانًا وفوق كل فرش ديوانًا، وفي كل ترب جونة عطار أو مسك بين أفهار[١١٢]. وقد علقت الطير بهذا الشجر كأنها ثمر، فمن فواخت وقطامى وحبارا وقمارى[١١٣].

وكأن كل ورقاء على عود حسناء في يدها عود، ترجع من كتاب الأغاني ضروب الخفيف الأول والثقيل الثاني[١١٤] وتفوق في الغناء أصوات معبد والميلاء وألحان عنان والذلفاء[١١٥]. وقد اشتهر روض "البندلر" بمائه في عذوبته وصفاته، فلا يفتأ به ينحدر كما تكسر المرمر ويلتوي على الأشجار كالسوار وينبثق من غدر وأفواه أسود ونمر[١١٦]،

---

(١١٠) الدواح الشجر العظيم ، الشوع شجر البان وقيل ثمرة ، الدرماء نبت احمر الورق، الخلاف صنف من الصفصاف. نبت العيدانة أطول ما يكون من الشجر ، المرجحنة المائلة المهتزة ، السدر شجر معروف .

(١١١) الخيطان جمع خوط وهو الغصن الناعم ، العرفج شجر سهلي .

(١١٢) الجونة سليلة مغشاة أو ما تكون مع العطارين ، أفهار جمع فهر وهو حجر يدق به .

(١١٣) الفواخت جمع فاختة وهي من ذوات الأطواق من الحمام قيل لها ذلك للونها لأنه يشبه الفخث أي ضوء القمر ، القطامي الصقر ، الحباري طائر معروف . القماري جمع قمرية .

(١١٤) الورقاء: الحمامة التي يضرب بلونها إلى خضرة. كتاب الأغاني للأصفهاني معروف.

(١١٥) معبد بن وهب برع في صنعه الغناء في الدولة الأموية، الميلاء: هي عزة المغنية الشهيرة، عنان: هي جارية كانت حاذقة في الغناء والشعر، الذلفاء: جارية سعيد بن عبد الملك الأموي كانت حاذقة في فن الغناء.

(١١٦) ينبثق: ينفجر، غدر: جمع غدير.

وبذهب في الهواء كلسان السراج ويعود كفية من زجاج، كأنه في الصفاء دمع جرى أو برق سرى أو بلور مذاب أو نصل قرضاب أو سبيكة فضة أو معصم بضة. وكأن الحصباء تحت الماء، عقد منثور أو جوهر منشور(١١٧)، وكثيرًا ما يهطل المطر على هذا الماء والشجر. فإذا معركة شعواء بين الخضراء والزرقاء، فالوبل نبل والقنا أشل والبروق ظبي وأسنة وفي كل غدير جنة(١١٨).

---

(١١٧) النصل: الرمح والسهم والسيف ما لم يكن له مقبض. القرضاب: السيف القطاع . البضة: الرقيقة الجلد.

(١١٨) الشعواء: المنتشرة . الوبل: المطر الشديد الضخم القطر، الجنة: بالضم كل ما وقى.

غابة بولونيا

وصف باريس:

يقبل المرء على باريس، فإذا حدائق وقصور وليل كسواد العين كله نور[١١٩] وإذا البرج في طخية الليل كأن سيراجة سهيل[١٢٠]، برج مائل كأنه برد بابل. غير أن ذلك فرق البشر وهذا جمع البدو والحضر[١٢١]، وإذا المدينة كأنها في يوم الزينة وقد جاشت الطرق بالسيارة وزخرفت البرازيق بالنظارة. فكأنما انفضح سيل العرم وكأنما في كل سبيل جيش منهزم[١٢٢]وكأن كل بهو إيوان وكأن كل شاهقة رأس غمدان[١٢٣] وكأنما بكل

---

(١١٩) المعنى: يقول إذا أقبل المرء على باريس رأى بها حدائق وقصوراً وأبصر ليلًا لمعت فيه الأضواء والأنوار، فصار كحدقة العين سوداء ولكنها ملئت بالنور.

(١٢٠) البرج: المراد به هنا برج (إيفل)؛ وهو برج مرتفع جدا أقيم على قواعد أربع في وسط باريس، الطخية: الظلمة، سهيل: كوكب أحمر من كواكب السماء.

(١٢١) المائل: القائم. "المعنى"؛ يقول إن هذا البرج القائم في باريس كأنه برج بابل. غير أن ذاك فرق البشر في وقت تبلبل الألسنة، كما ورد في أسفار التاريخ وهذا جمع الناس بباريس في العرض المقام بها عند إنشائه سنة ١٨٨٩.

(١٢٢) جاش: هاج، السيارة: القوم يسيرون، زخرت: امتلأت. البرازيق: الطرق المصطفة حول الطريق، النظارة: القوم ينظرون، انفضح: تدفق، سيل العرم: هو الذي سال بأرض اليمن، فأغرقها وفرق أهلها.

(١٢٣) البهو: وهو المسمى بالصالون، المراد به إيوان كسرى، الشاهقة: مؤنث الشاهق وهو المرتفع من الأبنية، قصر غمدان: مشهور بناه يشرح بن يحصب.

بستان شعب بوان[١٢٤] وكل حائط سد ذي القرنين وكل طريف واد بين الصدفين[١٢٥] وكل قنطرة خرزاذ أو قنطرة البردان ببغداد[١٢٦] وكل قصر قصر المشهى وكل كنيسة كنيسة الرها[١٢٧]. وقد أقيم على كلك حنية صنم ليعوق في الجاهلية وفجر في كل رحبة عين تجري على صخر، كعين الخنساء على صخر[١٢٨] واجتمع في كل مرج ذور وصنج وبدت في كل ناحية غرائب هندمند وعجائب كوكبان والسفد[١٢٩]. وفي هذه المدينة حرجة من نزه الدنيا يقال لها (غابة بولونيا)؛ وهي بطاح وروضة فساح وشجر دواح، وعد جلواح[١٣٠] وطرق بين الأدغال كهدى في ضلال وشموس بين

---

(١٢٤) شعب ببوان بأرض فارس: أحد المنتزهات المشهورة بالحسن والجمال.

(١٢٥) بين الصدفين: أي بين رأسي الجبلين المتقابلين.

(١٢٦) قنطرة خزراز بسمرقند من عجائب الدنيا، طولها ألف ذراع وعلوها مائة وخمسون أكثرها مبني بالرصاص والحديد، قنطرة البردان ببغداد: نسبة إلى البردان قرية من قرى بغداد .

(١٢٧) قصر المشتهي: هو من الملوك الفاطميين بمصر وكانوا قد أعدوه للنزهة. كنيسة الرها: نسبة إلى مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام مشهورة بالعجائب.

(١٢٨) الجنية: في الأصل القوس وذلك لانحنائها، يعوق: صنم لقوم نوح. كان رجلًا صالحًا ثم مات، فجزعوا عليه، فاتخذوا تمثاله إلهًا يعبدوه، الرحبة: الساحة المتسعة.

(١٢٩) المرج: أرض متسمة بها أشجار، الزور: مجلس الغناء. الصنج: صحيفة مدورة يضرب عليها للطرب، هندمند: نهر بسجستان ينصب إليه ألف نهر، فلا تظهر فيه الزيادة وتنشق منه ألف نهر فلا يظهر فيه النقصان، كوكبان: حصن باليمن رصع داخله بالياقوت. السغد: ناحية كثيرة المياه والأشجار تمتد مسيرة خمسة أيام، وهي تعد آية كبيرة في الجمال.

(١٣٠) الجرحة: مجتمع الشجر. (غابة بولونيا): قطعة من الأرض واسعة ممتدة كلها شجر وحياض وفيها طرق رحبة للمركبات، البطاح: جمع بطحاء هي مسيل واسع، فيه دقاق الحصى، الروضة:

الأشجار كأنها نثار وكأن الأزهار في حبالها فرش، والأنهار في خلالها صوارم في كف مرتعش والنهار في ظلالها فجر بين الضياء والغبش[١٣١].

وكأن في كل غصن صوت غناء وفي كل عش بيت فيه ضوضاء[١٣٢] وكأن الأغصان مواصل غضبان أو كأنها وهي تميل وتستدل شارب ثمل أو أنها تريد العناق ويمنعها الخجل[١٣٣]. وفي جوانب هذه الحرجة صخور وشعاب وأحجار وهضاب يتفجر منها ماء عرانية ذو دفاع، في حفافيه الآس والدلاع[١٣٤] وتجري بينهما خلج حسام والظل صداه أو أنه جام والأصيل طلاه، أو أن ذاك الظل عذار في خد أسيل أو طرة على جبين صقيل، وكأن الحصباء في الماء ثنايا عذاب في رضاب[١٣٥].

لا تكون روضة إلا معها ماء. الفساح: الواسعة . الدواح: الشديد العلو. العد: الماء الجاري، جلواح: واسع.

(١٣١) النثار: ما ينثر من ذهب. حيال الشيء: جانبه، الغبش: ظلمة آخر الليل.

(١٣٢) الضوضاء: الجلبة.

(١٣٣) "المعنى"؛ يقول وكأن الأغصان وهي تميل بها الريح وتعد لها وهي تتراوح مواصلي غضبان وذلك لأنها بدونها تكون غضبانة أو كأنها سكرانة أو كأنها حسناء تريد أن تعتنق ومنعها حياء العذراء.

(١٣٤) الشعاب: جمع شعب بالكسر مسيل الماء في بطن واد، الهضاب: جمع هضبة وهو المكان المرتفع عن وجه الأرض، العرانية: ما يرتفع من أعالي الماء، الدفاع: طحمة الموج والسيل، حفافيه: طرفيه، الآس: شجر الريحان، الدلاع: نبات.

(١٣٥) الخليج: جزء من البحر، الجام: الكأس، الأصيل: ما بين العصر وغروب الشمس، الطلا: اسم من أسماء الخمر، العذار: أول ما ينبت من الشعر على العارض، الطرة: الناحية، الصقيل: الأملس، الثنايا: الأسنان، العذاب: الباردة، الرضاب: الريق.

في ظلام الليل:

وأهيب ما تكون هذه الحرجة إذا غاب النور وأقبل الديجور وأمسى الكون كأنه لوح ممسوح أو راهب في مسوح(١٣٦). وتراءت هي كأنها حسناء في ستر أو صحيفة بيضاء كسرت عليها زجاجة من حبر، وكأنما صبغ كل غصن بسواد وكأن كل فرع جناح غراب منآد(١٣٧)، وكأن أشجارها لج متلاطم أو قنا متلاحم. وكأن في كل أيكة فيه تتهدم وكل عود حيه تترنم(١٣٨) وكأن تربها إثمد، وحصباءها يتع أو زبر جدء، وكأن المصابيح فيها أشعلت لترى الظلام، لا لتكشف الأعتام(١٣٩)، وكأن النجوم فوق تلك الأغصان أسنة على مران أو أن كل غصن من ذاك النمر والخط، حسناء والثريا في أذنها قرط، وكأن المجرة جدول فيه الحوت والسرطان يسقى من على ذلك البستان (١٤٠).

---

(١٣٦) الديجور: الظلام، المسوح: جمع مسح بالكسر، وهو الكساء من شعر ثوب الرهبان.

(١٣٧) المنآد: المنحنى المنعطف؛ "المعنى" يقول وكأنما اكتسى كل غصن من الظلام ثوبًا أسود أو أنه وهو منحنى ومنعطف على شجرته وهو قاتم اللون جناح غراب منآد.

(١٣٨) المتلاطم: الضارب بعضه بعضًا. القنا: الرماح وكل عصا مستوية، المتلاحم: المشتبك، الأيكة: الشجرة العظيمة.

(١٣٩) الينع: حجر أسود، الأعتام: السير في العتمة.

(١٤٠) الأسنة: الرماح. المران: الصلبة، السمر: شجر خشبه جيدًا جدا، الخط: نوع من الأشجار، الثريا: سبعة نجوم متجمعة في السماء، المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك، وإنما ينتشر ضوئها فيرى كأنه بقمة بيضاء. الحوت: برج في السماء. السرطان: أيضا برج في السماء . من على: اسم بمعنى فوق والمراد به هنا المعرفة.

في ضوء القمر:

فإذا بزغ القمر وألقى نوره بين الشجر، ألفيتها وكأنها غادة كعاب، عليها نقاب، وكأن قطعًا من ماسٍ بين الأغراس وكأن البدر عين، تسيل عليها بلجين[١٤١] وكأن في كل خوط سراج وفي كل بركة زئبق رجراج[١٤٢]. وكأن على الشعاب سرابًا، وكل زهرة ثغر باسم وفي كل جدول أسنة وصوارم[١٤٣].

في إشراق الصباح:

فإذا ما انطفأ النجم مع الصباح، كأنه مصباح، وبدأ الفجر تحت الغيهب كأنه ماء تحت طحلب[١٤٤] وتلاه الإشراق كالشجة السمحاق أو نار في رماد أو سيف عليه دم جساد[١٤٥]، ألفيت الحرجة كأن عليها خسروانية فوقها وشائم من ذهب سائل أو حلة موشية بها جأوي جائل. وكأنما على كل ورقة دينار وفي كل جدول كأس عقار وكأن كل غرس عبهر وكل زهرة شنف أنضر[١٤٦].

---

(١٤١) بزغ: طلع، الكعاب: البارزة النهد، النقاب: القناع، الأغراس: جمع غرس وهو المغروس. العين: مصب ماء القناة. اللجين: الفضة.

(١٤٢) الخوط: الغصن الناعم، البركة: مستنقع الماء، الزئبق: سائل معدني، الرجراج: المضطرب.

(١٤٣) الشعاب: بالكسر مسيل الماء في بطن الأرض.

(١٤٤) الغيهب: الظلام، الطحلب: خضرة تعلوا الماء الراكد.

(١٤٥) الإشراق: طلوع الشمس، الشجة: جراحة الرأس وبه سميت الشجة إذا بلغتها، جساد: مصدر جسد الدم أي لصق.

(١٤٦) الخسروانية: نوع من الثياب ملونة. الوشائم: جمع وشيمة وهي الطريقة في البرد وكل لفيفة وشيمة. الموشية: المطرزة، الجأوي الزعفران الجائل في الأصل الغير مستتر والمقصود به هنا

حديقة النبات وما فيها من حيوان:

وفي هذه الغابة (حديقة النبات) وهي رقمه زهراء ووديفة علباء[١٤٧] كأنما نشر كتاب ديسقوريدس في بستانها ونثرت ربيعيات كشاجم بين أيكها وخيطانها[١٤٨]. أو كأنها رامة أو خفان، أو سفينة نوح حملت كل حيوان[١٤٩]. ففيها (القسورة) أبو الأشبال يرسف في الغلال كأنه في الرتاج يزيد بن المهلب في سجن الحجاج[١٥٠] في هامة كهضبة من تهامة

المتموج، المقار: الخمر ، المبهر: نبات أصفر الشنف بالفتح القرط الأنضر: الذهب. "المعنى" يقول وكأنما على كل ورقة من أوراق أشجار هذه الجرحة دينار من ذهب وذلك لاصفرار هذه الأوراق من ضوء الشمس وكأن في كل جدول كأس من الخمر لصفرة الماء بلون الشمس وكأن في كل زهرة زهراتها قرط من الذهب من أمثال العرب أحسن من الشنف الأنضر.

(١٤٧) الرقمة: الروضة ، الزهراء: المشرقة ، الوديفة: الروضة الخضراء، الغلباء: المتكافئة .

(١٤٨) ديسقوريدس: نبات مشهور وعلى الخصوص في كتب العرب . كشاجم: اشتهر في شعره بالأخص بوصف الربيع والزهور والرياض. حتى قيل أنضر من ربيعات كشاجم .

(١٤٩) رامة: منزل بينه وبين الرماده ليلة في طريف البصرة، وقيل رامه هضبة وقيل جبل لبني درام وهي مشهورة بالغزلان

(١٥٠) القسورة: الأسد، الشبل: ولد الأسد وجمعه أشبال، يرسف: يمشي مشية المقيد . الأغلال جمع غل وهو القيد، الرتاج: الباب العظيم، يزيد بن الملهب: هو صهر الحجاج كان فارسا شجاعا جوادا كريما، فقبض عليه الحجاج يوما وأخذ يسومه العذاب، فسأله أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم، فإن أداها وإلا عذبه إلى الليل، فجمع يوما مائة ألف درهم ليشتري بها عذابه في يوم. فدخل الأخطل، فمدحه بقصيدة عامرة، فأعطاه المائة ألف درهم، فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال أفيك هذا الكرم وأنت بهذه الحالة ذد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده . الحجاج بن يوسف الثقفي.

وعينين كنارين في غارين[١٥١]، وناب كأنه سيف زهير بن جناب، وظفر كأنه هلال في أول شهر[١٥٢]. و(الفيلة) كأنها بروج مشيدة أو قناطر مقرمدة أو قطع من الليل على الأرض، أو لجج البحر يدفع بعضها بعض[١٥٣] أو سحاب ثقال أو أن أخفافها رحى تطرح وتشال[١٥٤] أو أنها ليل والناب هلال وأنيابها رماح طوال[١٥٥]. (والفهد) كأنما عليه من حدق نطاق أو نثر عليه الشجر الأوراق[١٥٦] تريد الفتك ولا يريد (أمكر وأنت في الحديد)[١٥٧] (والظباء) تمرح بين الآكام، كظباء مكة صيدها حرام[١٥٨]. كأن كل ظبية دمية وكأن في محاجرها عيون ليلى ومية[١٥٩] و(حمار الوحش) أحقب مدمج، كأنه المحلج، ملمع الأطراف، كأنما

---

(١٥١) الهامة: الرأس، الهضبة: الأرض المرتفعة، تهامة: موضع معروف، الغار: الكهف.

(١٥٢) الظفر: من الأسد البرنن.

(١٥٣) المقرمدة: المطلية بالقرمد. اللجج: جمع لجة.

(١٥٤) الثقال: الثقيلة الممتلئة، الخفاف: جمع خف بالضم، للبعير والنعامة، ينزله الحافر من غيرهما . الرحى: طاحون وهو حجر مستدير.

(١٥٥) الرماح: جمع رمح

(١٥٦) الحدق: جمع حدقة وهو سواد العين.

(١٥٧) (امكر وأنت في الحديد) هذا مثل يضرب لمن أراد ان يمكر وهو مقهور .

(١٥٨) الأكمة: التل.

(١٥٩) الدمية: الصورة من عاج . المحاجر: جمع محجر وهو عظم العين . ليلى وميه: اسمان من نساء العرب.

بسط عليه طرف[١٦٠] به شام كأنها خطوط الأقلام[١٦١]. وإلى جانبه قود ثمان، كأمراس الكتان يدور بها بين الأسوار، كأنه أسوار[١٦٢]. وقد ذكر بطحاء عمان والغوير والصمان، حيث كان يرعى الجوع والأرطاب، إلى أن تتصوح الأعشاب[١٦٣]، فيسوقها في البيداء إلى عيون الماء، تنجد في الأوعاث وترمي أيديها بالمرار والجثجاث[١٦٤] مستويات في الصف، كأصبع الكف تحيد عن إظلالها فرقًا وتهوى في الصوان زلفا[١٦٥] حتى إذا بلغت المهل وردته تمصع بالأذناب، من أوح وذباب[١٦٦] وقد اختبأ لها الصائد في غيل قصباء وناموس في جوف شجراء وفي يده سهام

---

(١٦٠) الأحقب: حمار الوحش في موضع حقبة بياض المدمج المتداخل في بعضه ، المحلج: ما يحلج عليه القطن ، ملمع الأطراف أي ملونها، طراف: الثوب الملون.

(١٦١) الشام: جمع شامة، وهي خطوط سود مخالفة لما في جوارها.

(١٦٢) القود: جمع قوداء وهي الذلولة المنقادة ، أمراس :الكتان الحبال ، منه الأسوار جمع سور وهو الحائط المقام، الأسوار قائد الفرس، "المعنى": يقول إن هذا الحمار الوحشي يمشي وبجانبه ثمان أمتن من جنيه كالحبال من الكتان في ضمورها وصلابتها يدور بها بين حواجز الحديقة كقائد وهو يقود جنوده .

(١٦٣) البطحاء: الأرض المتسعة، عمان: بلده على سيف البادية ذات قرى ومزارع، الغوير: ماء لعكب بين العراق والشام، الصمان: أرض غليظة دون الجبل، الجزع: مجتمع الشجر . الأرطاب جمع رطب . تتصوح: تيبس.

(١٦٤) البيداء: الفلاة المتسعة ، تنجد: تعلو ، الأوعات: جمع وعت وهو الطريق الخشن، المرار: بالفتح بهار ناعم أصفر طيب الرئحة، الجثجاث: نبت من أمرار الشجر.

(١٦٥) تحيد: من حاد من الشيء مال عنه. فرقا: خوفا. تهوي: تسقط.

(١٦٦) المنهل: المورد، وردت: بلغت. تمصع: تحرك ذنبها وتضرب به، اللوح: العطش. الذباب: البعوض الذي يكون على المناهل.

سحرية وكبداء نبعية [١٦٧]، فرمى فألقى أتانًا وانصاع الباقون مشي ووحدانا[١٦٨] و(الكلاب) على إضراب فمها الضاري الذي أعده الشاعر للطاري[١٦٩]. ومنها الألوف، الداعي للمعروف، ومنها السوقي الذي كأنه القوس إلا أنه السهم والعفريت إلا أنه الرحم. إذا وقف فهو نون، وأسباب فهو منون[١٧٠] و(الحيات) كأنها دروع مطويات وكأن نفحها غليان مرجل أو صريف نابي جمل[١٧١] وبينها الحارية وآخر كأنها جزوع نخل خاوية[١٧٢] و(الناقة) ثمة كأنها عربي في سوق الأهواز أو كلام استعمل على المجاز[١٧٣]. قد أضناها الشوق كل مروارة أقفر من أبرق العزاف ومن بربة خساف [١٧٤]، لا ماء بها إلا ماج زعاق، كأنه خمر

---

(١٦٧) الغيل: بالكسر الشجر الكثير. القصباء: قال سيبويه واحد الناموس بيت الصائد. الشجراء: الشجر الملتف. كبداء القوس يملأ مقبضها. النبعية: نسبة إلى شجر يتخذ من أغصانه السهام.

(١٦٨) الأتان: الحمارة مؤنثة. انصاع: اتقفل راجما .

(١٦٩) الضاري: المتعود على الصيد. الطاري: المقبل.

(١٧٠) السلوق: نسبة إلى قرية باليمن تنسب إليها الكلاب، ساب: فلت.

(١٧١) النفح: صوت الحية، غليان: مرجل صوت القدر، الصريف: صوت اصطكاك أنياب الجمل.

(١٧٢) الحارية: الأفعى التي كبرت ونقص جسمها ولم يبق إلا رأسها وسمها وهي أخبث ما يكون . جزوع نخل خاوية: أي أصول نخل متآكلة الأجواف.

(١٧٣) ثمة: هناك. الأهواز: بين البصرة وفارس أهلها معروفون بالبخل والحمق وسقوط النفس، وقد سكنها قوم من أشراف العرب فانقلبوا إلى طباع أهلها. المجاز: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له.

(١٧٤) أضنى: أعيا، المروارة: الأرض التي لا شيء فيها، أبرق العزاف: بين الوجير ويانس بارض الشام سمي المعزاف لأنهم يزعمون أنه سمع فيه عزيف الجن . بربة خساف: بين الحجاز والشام .

براق[١٧٥] يحدوها هناة، أرفق بالإبل من مالك بن ويد مناة[١٧٦]، فتصل كل عشية بسحرة وتشكل أخفافها كل مجهل بجمرة[١٧٧].

مجـال وحـوش ومجلـى أنـيس فيـا حسـن لهـو ويـا منظـر [١٧٨]

صلاح الدين الأيوبي:

قد ظهر في الأمة سميذع نقاب كأنه قسور غاب، قلب حول، لو عاودته نجوم الأفق، لعاد ذو الرمح منها وهو أعزل[١٧٩]. يعبس وهو راضٍ كالسحاب ويضحك وهو غاضب كالقرضاب[١٨٠]. عاجل العفو آجل الانتقام، كأن الملوك صف وهو الإمام. طيب بأدواء الأمم حذاق، يعالج تارة بالسم وطورًا بالترياق[١٨١]. واحد لم يختلف في فضله اثنان،

---

(١٧٥) الماج: الماء الأجاج الزعاق المر، خمر: براق نسبة إلى قرية بحلب تسمى بهذا الاسم .

(١٧٦) يحد: ويرفع صوته بالحداء، هناة: الرجل الحاذق . مالك بن مناة كان آبل من أهل زمانه ثم تزوج، فأورد الإبل أخوه سمد لكي يحسن القيام عليها والرفق بها .

(١٧٧) المشية: وقت المساء. السحرة: آخر الليل، تشمل: تخلط ، الأخفاف: جمع خف وهو من البعير بمنزلة الحافر من غيره، المجهل: الأرض التي لا يهتدي فيها.

(١٧٨) المجال: موضع الجولان . المجلى: المظهر . المنظر: ما نظرت إليه فأعجبك. "المعنى": أن هذه الغابة بما فيها من حديقة النبات والحيوان في مجال الوحش يرتع فيها ومظهر من مظاهر الأنس تلذه النفس ومنظر من مناظر الجمال يروق للعين منظره.

(١٧٩) السميذع: السيد الكريم الشريف، نقاب الرجل: العلامة ، قسور غاب: أي الأسد الرابض بالغاب. قلب حول: أي بصير بتقليب الأمور .

(١٨٠) القرضاب: السيف القطاع .

(١٨١) الحذاق: الماهر، الترياق: دواء مركب يدفع السموم.

نطقت بما آثره ألسن الخرسان والخرصان[١٨٢]، فقرت بظهوره القلوب، وإذا هو صلاح الدين يوسف بن أيوب.

أنـت الاميـر الـذي ولتـه همتـه   بغير عهـد مـن السـلطان معهـود

أقبلت جموع فرنجية مهطعين وأسوار الحرب الصليب على حطين[١٨٣]، فلقيهم جحفل جرار وحمل عليهم حملة المهاجرين والأنصار[١٨٤]. حمس يقابل منهم الأعداء، أمثال الحجاف وأبي براء، كأنهم في الصفوف حتوف أو أُسُود أظافرها السيوف[١٨٥]. وكأنهم من حبهم للقتال يرون النقع ليل وصال[١٨٦] تموج على صدورهم الفضفاضة السلوقية والوعف الحطمية وكأن كل درع ردن هلهال، أو غدير تحرك

---

(١٨٢) الخرسان: جمع أخرس وهو الذي انعقد لسانه عن الكلام، الخرصان: أسنة الرماح نسبة لبلدة بالبحرين تباع فيها الرماح. "المعنى"؛ أنك أيها الأمير جلست على عرش الملك من غير أن ترثه عن آبائك، وإنما رمت بك همتك إليه، فتبوأته وأخذته اغتصابًا.

(١٨٣) مهطعين: مسرعين، أرسوا: اثبتوا، حطين: هي مدينة بالشام كانت بها واقعة عظيمة كان النصر فيها لصلاح الدين.

(١٨٤) الجحفل: الجيش الجرار الكثير، المهاجرون: الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم. غلب فيه جانب الاسمية على جانب الوصفية ولهذا نسب إليه على لفظته فقيل أنصاري.

(١٨٥) حمس: جمع أحمس؛ وهو الشجاع. الجحاف: هو الجحاف بن حكيم السلمي الذي يضرب به المثل في الشجاعة، أبو براء: هو عامر بن مالك فارس من قيس يقال له ملاعب الأسنة ضرب به المثل، فقيل أفرس من ملاعب الأسنة، الحتوف: جمع حتف وهو الموت.

(١٨٦) النقع: الغبار.

عليه شمال وفي أيديهم السيوف اليزنية والسهام الحجرية[١٨٧]. وكأن كل سنان أرقم وكل كنانة جلدة شيهم[١٨٨].

وإذا تكافح وجلاد وأبطال في عصواد وجسوم تحت الصعيد ورؤوس فوق الصعاد[١٨٩] وعثير في العنان، كادت تفرخ فيه العقبان، أصبحت الأرض به ستار والسماء ثمان[١٩٠] وخيل تنزع قبا وتضبح وثبا، كأنها في الجدد، طير تنجو من الشؤبوب ذي البرد[١٩١]وطعن كل طعنة

---

(١٨٧) تموج: أي تضطرب، الفضفاضة: الدروع الواسعة. السلوقية: نسبة إلى قرية باليمن تنسب إليها الدروع الواسعة اللينة، الحطمية: نسبة إلى رجل يقال له حطمة بن محارب كان يصنع الدروع. الشمال: بالفتح والكسر الريح التي تهب، اليزنية: نسبة إلى ذي يزن وهو ملك حمير.

(١٨٨) الكنانة: جعبة تجعل فيها السهام، الشيهم: ذكر القنفد أو ما عظم شوكة من ذكورها، جمع شياهم.

(١٨٩) التكافح: التضابر تلقاه الوجوه . الجلاد: التضارب بالسيوف، العصواد: الجلبة والاختلاط في ضرب أو خصومة، الصعيد: التراب أو وجه الأرض، الصعاد: جمع صعدة وهي القناة المستوية.

(١٩٠) المثير: الغبار، المناز: السحاب، تفرخ: أي تصير ذات فرخ، العقبان: جمع عقاب وهو طائر معروف، أي كأنهم رفعوا أرضًا من الأرضين السبع صارت به السماوات السبع ثمان والأرضين ستا.

(١٩١) وخيل تنزع قبا وتضبح وثبا. كأنها في الجدد، طير تنجو من الشؤبوب ذي البرد، تنزع: أي تجري. قبا: أي ضمر خصرها ورق. تضبح: تصوت، الجدد: ما استرق من الرمل والأرض الغليظ.

نجلاء، لا ينفع فيها عصائب الخمر ولا ثنر الراء[١٩٢]. وإذا العداة بين هارب بذمائة وبارك متجعجع في دمائه، وإذا جمعوهم كأنها عرفج علقت به نار أو ليل كشفه نهار[١٩٣]. وإذا بالقدر قد فتح المسلمين وكانت العاقبة للمتقين.

[١٩٢] النجلاء: الواسعة. العصائب: جمع عصابة وهي ما عصب به من منديل ونحوه، الخمر: جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها، ثمر الراء: هو شجر واحدته راءه يذر على الجرح فيشفيه.

[١٩٣] العداة: جمع عادي وهو العدو. الذماء: البقية. المتجعجع: الضارب بنفسه الأرض. العرفج: شجر سهلي.

على قبر نابليون

وقفت على قبر نابليون أمس، أحدث النفس بما في ذلك الرمس[١٩٤]، فإذا استكانة بعد صولة وقبر في جوفه دولة وصولجان كرته الأرض. أمسى مخراق لاعب وسريو كان فوقه البسط والقبض، أضحى ملتقى ناع وناعب[١٩٥]. اللهم غفرًا، هذا غلاب القياصرة وقهار الجبابرة، دفع عنه سلطانه الأبطال الأقيال[١٩٦] ولم يدفع عنه الآرض والنمال وكانت الأرض تضيق عن نفسه، فأمسى تسعه حفرة من رمسة[١٩٧]. فواها لهذا الموت الذي يخبت الأسود ويقتلع أنياب الحيات السود ويفك النطاق عن الجوزاء ويساوي عمرو بن درماء بالدرماء[١٩٨].

---

(١٩٤) قبر نابليون من أنفس القبور؛ إذ نصب حول القبر الأعلام والبنود التي أخذها في حروبه مع الأعداء وله تمثال مشهور في باريس على عمود مرتفع صيغ من حديد، المدافع: التي ظفر بها في وقائعه. الرمس: القبر.

(١٩٥) الاستكانة: الخضوع والذل. الصولة: الوثبة، مخراق: لاعب الجمع مخاريق، وهو ما تلعب به الصبيان من الخرق المفتولة. والبسط: القبض أي النهي والأمر. الناعي: الذي يأتي بخبر الموت، الناغب: المصوت بالبين.

(١٩٦) الأقيال: الملوك.

(١٩٧) الآرض: هي دويبة صغيرة تأكل الخشب. النمال: جمع نملة.

(١٩٨) يخبت: يذل، النطاق: ما يشد به الوسط، الجوزاء: برج في السماء. عمرو بن درماء: رجل من ثمل وكان عزيزا في قومه كريمًا لديهم . الدرماء: الأرنب وتوصف بالضعف.

نابليون

نابليون وما أدراك ما هو، اسم ملأ كل مكان واستغنى عن التعريف بابن فلان، إذ لم يرث المجد عن أب وجد(١٩٩) ورجل جاد به الدهر وهو البخيل بالرجال. كما تجود الصخرة بالماء الزلال(٢٠٠) وسمح الزمان منه بما هو فوق قدره، كما يسمح الترب بتبره(٢٠١) وملك جاء أخيرًا فتقدم على الملوك الأول. كالعنوان أن يكتب أخيرًا ويقرأ أولًا(٢٠٢) طلب ملك الثقلين(٢٠٣) ورغب أن يكون الإسكندر لا ديوجين وآزره على ذلك عزم بمحو الشر بالشر. كما يداوى شارب الخمر بالخمر(٢٠٤).

---

(١٩٩) "المعنى": أنه ليس من بيت ملك أو إمارة فينسب في الفضل إلى آبائه، ولكن فضله بنفسه.

(٢٠٠) يقول إن الدهر البخيل بالعظماء من الرجال جاد به كالصخرة التي قد ينفجر منها الماء.

(٢٠١) يقول إنه أكبر من الزمان الذي جاد به كما أن التبر أشرف من التراب على أنه منه يؤخذ ويجمع.

(٢٠٢) يقول هو وأن جاء بعده كثير من مشاهير عظماء التاريخ، إلا أنه يقدم عليهم في الرتبة وذلك كعنوان الكتاب فإن كاتبه يكتبه في الآخر وقارئه الذي يصل إليه الكتاب يبدأ به في القراءة يقدمه على غيره مما في سائر الكتاب كما هي العادة.

(٢٠٣) الثقلين: الإنس والجن .

(٢٠٤) آزره: عاونه، ديوجين: الفيلسوف المشهور. "إسكندر المقدوني" وديوجين هذا له مجادلة عظيمة الشأن مع الإسكندر فأعجب الإسكندر به وبصراحته التفت إلى خواصه وقال لو لم أكن الإسكندر لتمنيت أن أكون ديوجين.

وطبع فيه نفع وضرر كالغمامة فيها صاعقة ومطر أو البحر إن صدن أغرق وإن طلب جوهره أغدق[٢٠٥] وجد لو صحب الأدبار لأربي على الإقبال ولو حالف النقص لشأي الكمال[٢٠٦]، فسار إلى غايته القصوى بسير لا يرى كسير ذكاء في السماء[٢٠٧]، لا يصادفه في طريقه دولة إلا قلبها ولا راية إلا نصبها ولا حصن ثغر يحوم منه نسر السماء. على وكر إلا تدلى عليه مع الظلام[٢٠٨].

كما تدلت عقاب من شماريخ الأعلام[٢٠٩] ولا يم طم أو بحر خضم إلا خاضه القدم وشرب ماءه بدم[٢١٠] ولا وقائع إلا خاضها، فترك بها أيامًا كيوم وحرحان أو يوم جبلة بين عبس وذبيان[٢١١].

حتى أقام له ملكًا أين منه ملك قيصر وكسرى، هو كرة الأرض، فأمر بها الجل فكسبها في ساعة وخسرها في أخرى.

---

(٢٠٥) أغدق المطر: كثر قطره.

(٢٠٦) الجد: الحظ، أربي: زاد. شأي: سبق. والمشهور عن نابليون أنه كان يعتمد على حظه وبخته أكثر من اعتماده على مقدرته.

(٢٠٧) القصوى: البعيدة . ذكاء: من أسماء الشمس.

(٢٠٨) الثغر: كل فرجة في جبل أو بطن واد أو طرق مسلوك. النسر: المراد به هنا نسر السماء. الوكر: عش الطائر أين كان في جبل أو شجر وإن لم يكن فيه، تدلى: ثقل واسترسل.

(٢٠٩) العقاب: طائر معروف، الشماريخ: رؤوس الجبال، الأعلام: جمع علم وهو الجبل الطويل. "المعنى" يقول إن صادفه حصن مرتفع كأنه لارتفاعه وكر لنسر السماء الذي هو نجم من نجومها أو غير ذلك من العقبات لم يحله عن مقاصده بل تخطاه.

(٢١٠) اليم: البحر، العلم: الغامر. الخضم: البحر، خاض الماء: دخله.

(٢١١) الملاحم: جمع ملحمة وهي الواقعة العظيمة. راض: ذلل. يوم وحرحان كان لعامر على تميم. يوم جبلة: كان بين عبس وذبيان وهو أعظم أيام العرب المشهورة في التاريخ.

إسترليز وانتصاره على الروس والنمساويين

كأني أنظر إليه يوم "إسترليز"(٢١٢) وقد خرج لقتاله القيصران في يوم أرونان "فصابت بقر"(٢١٣) "وما يوم حليمة بسر" (٢١٤)، فاصطف الروس كالسطور في الطروس وثبتوا في الأخاديد كالجلاميد وابذعروا في السهول كالوعول(٢١٥). وأقبل النمساويون في كتيبة جأواء وململمة شعلاء ينزل أولاها وليس بنازل ويرحل أخراها وليس براحل(٢١٦)، فقابلهم من جيش الفرنسيين بالدهباء الدرديس، دوسر بسط جناحيه على الشعاب

---

(٢١٢) "استرليز": قرية قهر بجوارها نابليون جيوش الروس والنمساويين وهي أشهر وقائعه وقد حضرها قيصر الروس والنمسا.

(٢١٣) "فصابت بقر": مثل عربي؛ أي نزل الأمر في قراره فلا يستطاع له تحويل. أي صارت الشدة في قرارها .

(٢١٤) "وما يوم حليمة بسر": هذا مثل عربي يضرب لكل أمر متعالم مشهور، وحليمة هي بنت الحارث بن أبي شمر كان أبوها وجه جيشًا إلى المنذر بن ماء السماء فبفضلها غافل القوم المنذر وقتلوه.

"المعنى" أنه انتصر في يوم "استرليز" انتصارا باهرا طار ذكره في الأمم الفرنجية كما طار ذكر يوم حليمة في الأمم العربية أيام الجاهلية .

(٢١٥) الأخاديد: جمع أخدود وهي الحفرة المستطيلة. الجلاميد: الصخر. ابذعروا: تفرقوا ، الوعول: جمع وعل وهو تيس الجبل .

(٢١٦) جأواء: أي كدراء اللون في حمرة وهو صدأ الحديد. الململمة: الكتيبة المجتمعة.

كما بط جناحيها العقاب[٢١٧]، فلا ترى ثمة إلا أعلامًا تخفق وحديدًا يبرق وجنودًا في المآذي كأنها صخور في ماء[٢١٨] أو أفاعي عرماء أو أسود والسيوف أنياب أو عقارب شائلات الأذناب[٢١٩] ثم صم القتال وزلزل الزلزال واتقد الوهج وسطح الرهج، فكأنما ترى جانًّا من مارج من نار أو إعصارًا يدور فوق إعصار، كأنما مدينة في حريق وسماء تهطل برحيق[٢٢٠] وكأنما فكت الشياطين وانساب الثعابين[٢٢١] وكأنما في قلب الأرض وهل وعلى خدها من الدماء خجل[٢٢٢] وكأنما في الجو من الدخان والنار ليل وشروق ومن الرصاص والشفار وبل وبروق[٢٢٣] وكأنما كسرت قبة السماء، فهوت بما فيها من نور وظلماء[٢٢٤] وكأنما كل صف من الجنود يميل بحائط من جهنم، فيلقاه الآخر من الحديد بلج من يم،

---

(٢١٧) الدهياء: الداهية من شدائد الدهر. الدردبيس: الداهية أيضا. دوسر: أي جيش وأصلها كتيبة .

(٢١٨) المأذى: الدرع .

(٢١٩) العرماء: الحية الرقشاء . شائلات رافعات .

(٢٢٠) الوهج: اتقاد النار والشمس، الرهج: الغبار، المارج: الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد، الإعصار: ريح ترتفع بتراب بين السماء والأرض، الرحيق: الخمر؛ "المعنى" أن الدم كثر انصبابه على الأرض كأن السماء أمطرت الأرض رحيقًا أحمر .

(٢٢١) انساب: مشى مسرعا.

(٢٢٢) الوهل: الفزع .

(٢٢٣) الشفار: جمع شفرة وهو حد السيف، الوبل: المطر الشديد .

(٢٢٤) المعنى؛ "أنه لاختلاط ضوء النور المنبعث من فوهات المدافع والبنادق بداخلها كأن قبة السماء انكسرت وسقط ما فيها من غور وظلمة.

فما ينكفئ حتى ينطفئ[٢٢٥] وبين ذلك خيول تكدس وسلاح مضرس وجماجم تعلق وأشلاء تفرق ومنا ومنون وطعن كأنه طاعون وشهيق وزفير وعير ونفير[٢٢٦]، وصرعى كأنما غالتهم الكؤوس وواد يسيل على العلمين فقاقيعه الرؤوس[٢٢٧] ومقلة في مخلب طائر وكبد في رجل غائر وبنان في ناب وحش كاسر[٢٢٨].

كم رأس شخص بكى من غير مقلته دما وتحسبه بالقاع مبتسمًا[٢٢٩]

هذا ونابليون قد أشرف على المرقب فوق نهد سهلب[٢٣٠]، ثبت في المعمعان كأنه خنذيذة من كتفي ثهلان[٢٣١].

لا تهوله كثرة البهم ولا جموع الأمم، كان جمده قليل من ضرم في كثير من فحم[٢٣٢] يقلب عينيه يمنة وشامة ويجبر أخبار زرقاء اليمامة،

---

(٢٢٥) اليم: البحر، ينكفئ: ينكب .

(٢٢٦) العير: القافلة.

(٢٢٧) "المعنى" كان الموتى في الدماء سكارى قد طرحوا بين أقداح ودنان مصبوبة وكأن الرؤوس السائرة يحملها إلى الدم السائل فقاقيع على ماء نهر جار .

(٢٢٨) العائر: المنكب الساقط.

(٢٢٩) "المعنى" يقول كانت الجروح في جسم المقتول منهم عيون تبكي بالدم وكأن القتيل وقد فتح الموت فاه باسمًا وليس بباسم.

(٢٣٠) المرقب والمرقبة: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب، والجمع مراقب. النهد: الفرس الحسن، السهلب: الجواد الطويل.

(٢٣١) الخنذيذة: رأي الجبل المشرف، ثهلان: جبل معروف.

(٢٣٢) البهم: جمع بهمة وهو الشجاع. "المعنى"؛ كما أن قليل النار يكفي لكثير الفحم، فكذلك كان نابليون لا تهوله الكثرة مع شجاعة جنده.

فتطوي الجنود لأمره وتنشر وتقدر وتأخر[٢٣٣] كأنه في هذا الهرج والمرج، أمام رقعة من الشطرنج [٢٣٤] إلى أن يبدو له النصر من خلال القتام، كما تلوح الشمس من تحت الغمام[٢٣٥].

---

[٢٣٣] اليمنة: جهة اليمين . زرقاء اليمامة: يضرب بها المثل في حدة بصرها.

[٢٣٤] الهرج: القتال ، المرج: معركة القلق .

[٢٣٥] القتام: الغبار والدخان .

نابليون بعد زوال ملكه وهو معتقل

وكأني أنظر إليه بعد ذلك وقد جار عليه الزمان الجائر ودارت عليه الدوائر وأمسى جيشه الذي قهر الأرض وهو مقهور كآنية الزجاج قابلت غيرها، فالكل كاسر مكسور[٢٣٦]، وانتهى به السير من خير إلى صنبر، كما يسير الهلال بسيره بدرًا ويمحق به تارة أخرى[٢٣٧] وزال ملكه الضخم، فغاب مغيب الشمس في أفق من دم وأصبح ولا دولة ولا بأس ولا صولة، كذم الجاهلية في الملة الإسلامية. كان بالأمس ربًّا، فأصبح حجرًا صلبًا[٢٣٨] وإذا هو معتقل في جزيرة قاسية وصخرة عارية، كأنه قسور نقل من بيداء أو غيل قصباء إلى قيود وأصفاد وبيت من صنعة الحداد، فهو فيخ يدور وبحور[٢٣٩]، تارة يبسم ويعجب من دهر يكسر النبع بالغرب ويصيد الصقر بالخرب[٢٤٠] ومرة يطرق ويتفكر ويفتح عينه

---

(٢٣٦) دارت عليه الدوائر: أي نزلت به الدواعي.

(٢٣٧) الضير: الضر، يمحق البدر: أي يطلع مع الشمس فمحقته .

(٢٣٨) الضخم: العظيم في كل شيء . ضم الجاهلية: الأصنام التي كانت تعبدها الجاهلية قبل الإسلام. فلما جاء الإسلام محا هذه الاصنام. "المعني": يقول كما أن الصنم كان يراه الجاهلي ربا يعبده ثم أصبح يراه المسلم حجرا يكسره ولا قيمة له، فكذلك صار نابليون بعد الهزيمة.

(٢٣٩) قاصية: بعيدة . العارية: التي انحسر عنها النبات، القسور: الأسد، البيداء: الفلاة، الفيل بالكسر: الشجر الكثير الملتف. يحور: تحير .

(٢٤٠) النبع: شجر صلب، الغرب: شجر ضعيف ، الخرب: نوع حيوان.

فيرى كثيرًا ويغلقها، فيرى أكثر وحيا يخي الرأس من اليأس[٢٤١].

وآونة تبعثه الأوجال إلى الآمال، فيود لو قام شبل من نسله أو رجل من أهله، فاسترجع ملكه بعد الذهاب وحفظ من نور ذلك المجد بقدر ما يحفظ البدر نور الشمس بعد الغياب[٢٤٢]. وهيهات أن يقوم الأفيل بعبء الفيل أو تتساوى الأشياء إذا تساوت الأسماء. أين ذباب السيف من ذباب الصيف وأين السنبلة الخضراء من سنبلة السماء؟[٢٤٣]، وقد يقف بقامته القصيرة على قنة من قنن طال على لجحه وامتد بعيدًا على ثبجه، فيرى قامته وهذا الخيال فرق ما بين حالته وما كان فيه من الدولة والإجلال[٢٤٤]، فيبعد منفسه الأمل ويقرب الأجل .

كان هذا جميعه يدور في فكري ويتمثل لنظري وأنا واقف إزاء قبره؛ أتأمل في مبتداه وخبره، فيترك في قلبي عِبْرة وفي جفني عَبْرة[٢٤٥].

---

[٢٤١] "المعنى" يقول إنه حينما يحني رأسه حزنًا على ما كان فيه من عزة الملك يجد اليأس إلى نفسه طريقًا.

[٢٤٢] الوجل: الخوف جمع أوجال. "المعنى": كما أن نور القمر هو في الحقيقة نور الشمس، إلا أنه أضعف منه، فكذلك كان يرجو أن يقوم واحد من آله، فيحفظه من مجده ولو بقدر ما يحيط القمر من نور الشمس.

[٢٤٣] الأفيل: صغير الإبل، ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به، السنبلة: من الزرع ، السنبلة: برج في السماء.

[٢٤٤] القنة: قمة الجبل، الثبج: معظم الشيء.

[٢٤٥] إزاء: حذاء، العبرة: يتعظ بها . العبرة: الدمعة من العين.

حسان الأستانة

وأبهى ما يكون هذا المكان وقت الأصيل، حيث يفيء الظل الظليل، فترى فيه أسراب الغزلان والرعابيب الحسان، يمشين مشي القطا الكدري في الدمث الندى[٢٤٦]، فتارة وقوفًا على شريعة ماء وحينًا جلوسًا تحت رفرف أيكة خضراء وآونة يبدون للنظر وطورًا يختفين في الشجر[٢٤٧] وكأن الثوب طاووس وصليل الحلي ناقوس والوجوه أقمار وشموس، وكأني بك وقد رأيت منهن ذات دل لعوبًا، فينانة خرعوبا، غراء فلجاء، خدلجة[٢٤٨]لفاء، أملودًا خصمانة شموعًا خوطانة[٢٤٩] في وجه كالوذيلة وخد كالجليلة وقوس حاجب كأنه قوي حاجب[٢٥٠].

---

(٢٤٦) يفيء: يرجع وأصل الفيء ما كان شمسا فينسخه الظل، الأسراب: جمع سرب وهو القطيع من الظباء والنساء. الرعابيب: جمع رعبوب ورعبوبة وهي الجارية الحسناء اللينة. الدمث: المكان السهل .

(٢٤٧) الشريعة: مورد الماء. الرفرف: ما تهدل من أغصانه .

(٢٤٨) الدل: دل المرأة غنجها. اللعوب: الحسنة الدل. الفينانة: الكثيرة الشعر. الخرعوب: الشابة الحسنة الخلق أو البيضاء اللينة الجسيمة اللحيمة الرقيقة العظم، الغراء: البيضاء. الفلجاء: فلجاء الأسنان أي متباعدتها. الخدلجة: المرأة الممتلئة الذارعين والساقين .

(٢٤٩) اللفاء: الضخمة الفخذين، الأملود: الناعمة ، الخمصانة: الضامرة البطن، الشموع: المزاحة اللعوب، الخوطانة: امرأة خوطانة كالغصن طولًا ونعومة.

(٢٥٠) الوذيلة: المرآة والقطعة من الفضة المجلوة . قوس: حاجب هو ابن زرارة اليمني يقال أنه أتى كسرى في جدب أصابهم يستأذنه في قومه في ناحية من بلاده، فامتنع بحجة أنهم غادرون،

وشعر كالليل أو أذناب الخيل وثغر أشنب، كأنما ذر عليه الزرنب وثنايا غر، ذات أشر ومبتسم برد وشفاه كأنما ورق الورد وعينين كسيفين في جفنين أو سهمين في قوسين وقدٌ كالرمح وفرق كالصبح[٢٥١] حسن للترك والجرج، لا يوجد عند الإفرنج، اللهم إلا صورًا في ألواح روفائيل[٢٥٢]، مثل بها إسرافيل وميكائيل أو صفات في أشعار داني ولامارتين، صورًا بها الخلد والحور العين[٢٥٣]. فلما لمحتها أشرت إليها بالكف، فأومت لك بالطرف، فحسبتها أقرب من مداركة، فإذا هي أمتع من عاتكة وتخيلت أنها منك على طرف الثمامة وأذابها طارت كالحمامة[٢٥٤].

فقال حاجب إني ضامن عدم غدرهم، قال: فمن يضمن؟ فقال أرهنك قوسي، فضحك من حول الملك، فقال الملك ماكان يسلمها أبدا.

(٢٥١) أشنب: الشنب ماء ورقة وعذوبة في الأسنان أو نقط بيض فيها أو وحدة الأنياب. الزريب: طيب أو شجر طيب الرائحة والزعفران، الأشر: حدة ورقة في أطرف الأسنان، الفرق: الطريق في شعر الرأس.

(٢٥٢) الجرج: جيل من الترك مشهور بالجمال. "رفائيل" هو أكبر المصورين وفي صورة كثيرة من صور الملائكة وآخر صورة له رسمها هي صورة الملك ميكائيل. وهي الآن في متحف اللوفر بباريس .

(٢٥٣) "اسرافيل وميكائيل" اسم ملكين من الملائكة. "داني" شاعر أيطالي مشهور. "لامارتين" شاعر فرنسأوي من أكبر الشعراء. الخلد الجنة ، الجور جمع حوراء ، والحور أن يشتد بياض العين وسواد سوادها ويستدير حدقيها وترق جفونها وتبيض ما حوليها . العين بالكسر بقر الوحش .

(٢٥٤) الطرف: العين. المداركة: السهلة القياد، وعاتكة: تضع خمارها بين يدي اثنى عشر خليفة كلهم لها محارم . أبوها يزيد بن معاوية. وزوجها عبد الملك بن مروان، الثمامة: نبت معروف ضعيف .

الحسان في الطريق

حسان الأستانة أثناء مرورهن بالطريق

حسان غيد كالأماليد، في وجوه كالدنانير وأوساط كأوساط الزنابير[٢٥٥]. عليهن مطارف كألوان الحرباء وأزهار الروض من حمراء وصفراء[٢٥٦]. خدٌ تحت النقاب، كالخمر في كأس الشراب. ووجه بخفيه ويبديه اللثام، كالشمس تحت الغمام[٢٥٧].

---

(٢٥٥) الغيد: جمع غيداء المتثنية لينا، الماليد: جمع أملود وهي الناعمة اللينة، الزنابير: جمع زنبور وهو ذباب لساع "المعنى" شبه أوساطهن بأوساط الزنابير لدقتها ورقتها.

(٢٥٦) المطارف: جمع مطرف وهو ثوب معروف . الحرباء: هي دويبة مشهورة بالتلون. "المعنى" أن نساء الأستانة يرتدين المطارف ذات الألوان.

(٢٥٧) "المعنى" شبه خد الحسناء بكأس من الخمر في إناء من الزجاج الأبيض ووجهها تحت اللثام بالشمس يسترها الغمام.

كنز مدفون أو وفاة رجل كبير

أطلق الدمع وأطرق، فقد غربت الشمس في المشرق[٢٥٨]. فيا هزيمة العقل وصولة الجهل ويا وحشة الدور وأنسة القبور، أسرير ينقل ويسير، أم جبل يتقلع ووسمي يتقشع؟. وهذه أوصال، أم معال تنشر وتقبر؟[٢٥٩].

أقبر هذا أن جفن فيه سيف جرار وترب فيه تبر ركاز وقليب هريق فيه ذنوب من كرم وجفر تهدم فيه بنيان من همم[٢٦٠].

فإلى الله نشكو زمنًا أطفأ هذا السراج وكسر هذا التاج وأخبأ هذا الشهاب وقفل هذا الباب وغادرنا بعده في غي، كرشد، ورشد كفى وحي كميت وميت كحي[٢٦١].

---

(٢٥٨) أي غربت الشمس ولكن كان غروبها في المشرق لأن المتوفي مات في أشرق وكأن وفاته غروب الشمس.

(٢٥٩) الوسمي: مطر الربيع سمي به لأنه يسم الأرض بالنبات. يتقشع: يتفرق.

(٢٦٠) الجفن: الغمد. الجرار: السيف القطاع. الركاز: ما ركزه الله من المعادن في الأرض، القليب: البئر. هريق: أي صب مبني للمجهول، الذنوب: الدلو. الجفر: البئر الواسعة، "المعنى" يقول هل قبر الفقيد غمد وهو فيه حسام أم تراب وهو فيه تبر مودع أم بئر صب فيها ذنوب ملئه الكرم أم جفر تهدم فيه بنيان من همة وعزيمة.

(٢٦١) أخبأ: أطفأ، "المعنى" يقول أشكر إلى الله من دهر أخمد هذا القبس المضيء وكسر هذا التاج الذي كان موضعه الرؤوس وقفل هذا الباب باب العلم والفضيلة وغادرنا من بعده مدهوشين حتى نظن الغى رشدا والرشد غيا ونرى الحي منا ميتا والميت حيا.

صفة الحزن عليه:

عينان كأنهما عينان نضاختان، طرف خاشع، وشم باخع ونفس راجع وإصبع دام وعثير فوق هام[٢٦٢] وحزن ينقض الأضلاع وهم يسل النخاع، وفي كل قلب صدع وفي كل رأي صداع.

صفة الفقيد:

في سبيل الله منه واحد بألف، كالدينار في الصرف، كريم المنبت والبيت، ما فيه لو ولا ليت[٢٦٣] ماض والسيف ناب، كأن في الفضلاء سطر بسم الله في الكتاب[٢٦٤].

جم الأصفاد والمنح[٢٦٥]. إذ استنجدته، جاءك نصر الله والفتح إلى حكمة رسطاليس أو الشيخ الرئيس[٢٦٦] وخطب إياد أو زياد[٢٦٧] وفضل،

(٢٦٢) نضاختان: يقال عين نضاخة أي فوارة غزيرة، الطرف: العين، الشمم: ارتفاع قصبة الأنف وهو كناية عن العظمة والارتفاع. الباخع: المنقاد المنذل، نفس راجع أي أخذ ورد . العثير: الغبار. الهام: جمع هامة وهي العنق والرأس.

(٢٦٣) "المعنى": أن المتوفي كان كريما المحتد نبت من تربة صالحة فلما دح أن يمدح كيف شاء ولا يقول (لو) كان الخالق الفلاني لكان تاما أو (ليت) فيه الخصلة الفلانية لكان عظيما فهو ليس ممن تدخل عليه لو أو ليت .

(٢٦٤) "المعنى" أنه يكون ماضيا إذا نبا السيف أي أنه أمضى منه ويقول إنه في مقدمة الفضلاء كما تكون البسملة في أوائل الكتاب .

(٢٦٥) الأصفاد: جمع صفد؛ وهو العطاء.

(٢٦٦) رسطاليس: فيلسوف يوناني مشهور. الشيخ الرئيس: هو أبو علي الحسن بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور.

كالمسك إن كتمته سطح وكالقيس إن خفضته ارتفع[٢٦٨]. سجايا ومدح وإن عدت نابت لأعدائه عن السبح[٢٦٩].

---

[٢٦٧] إياد وزياد: خطيبين من مشهوري الخطباء عند العرب.

[٢٦٨] "المعنى" يقول مثله كمثل المسك مهما كتمته وخبأته انتشرت رائحته وكالقبس كلما أردت أن تنخفض منه ارتفع إلى اعلا .

[٢٦٩] "المعنى": أن سجاياه الجميلة كثيرة، فلو أراد اعداؤه أن يعدوها، لكانت لهم بمثابة السبح.

غرور الدنيا

دنيا غرورة:

دنيا تغر الجاهل ولا تسر العاقل ودار لا يدخلها الطفل إلا وهو باك ولا يخرج منها إلا وهو شاك[٢٧٠]. قد عصفت بالشرور سواقيها[٢٧١] ومن أذنب في جهنم وجب أن يعذب فيها[٢٧٢] ليس بها لذة إلا ممزوجة بألم ولا دسم إلا مخلوطًا بسم ولا ضاحك إلى وهو باكٍ كالغمامة ولا شاد إلا وهو نائح كالحمامة.

لو يعلم الناس علمي بالزمان لما سروا بشيء ولا ربوا ولدوا[٢٧٣]

ذلك في هلك، سيان بها من بالبقاع ومن على الشراع[٢٧٤] وخط في ماء لا ينقسم، حتى يلتئم، وأثر في بيداء لا يرتسم، حتى يرتطم.

---

(٢٧٠) "المعنى": هذه الدنيا كما أنها لا تغر إلا الجاهل، هي لا تسر العاقل أي سرور في دار إذا دخلها الطفل لا يدخلها إلا وهو باك كما يحصل عند الولادة، وكذلك يخرج منها الشيخ الهرم إلا وهو يشكوا منها ومن عذابها وآلامها وأمراضها.

(٢٧١) السواق: الرياح "المعنى": يقول من أذنب في الدنيا يعذب في الآخرة في جهنم ولكن لكثرة شرور والدنيا وعذابها، فإن من أذنب في جهنم كان يجب أن يعذب في الدنيا.

(٢٧٢) "المعنى": يقول كيف يرغب الإنسان في الدنيا لا يجد فيها لذة إلا وقد امتزجت بتنغيص ونكد؟!

(٢٧٣) "المعنى": ولا يوجد بها ضاحك إلا وهو باكٍ كالغمامة يضحك بالبرق ويبكي بالمطر في آن واحد (تعبٌ كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد)

(٢٧٤) الفلك: السفينة . الهلك: الهلاك، القاع: بطن السفينة، "المعنى" أن الدنيا لكونها زائلة كأنها سفينة في حالة غرق، فالذي في قاعها أو فوق شراعها سواء آيلًا للغرق والمراد أن العظيم والحقير يسأوي بينهما قياس الفناء.

وكيــف أجيــد فــي دار بنــاء ورب الـدار يـؤذني بنقلـه [٢٧٥]

وقفة بين المقابر:

انظر إلى هذه المقابر بالحاجر[٢٧٦]، ففيها بلاغ ومعتبر لمن ادَّكر، تريا كل حدث كأنه علم بين الساهرة والأخرة[٢٧٧]، خط متضايق فيه جميع الخلائق، كالقلب صغير، وفيه العالم الكبير[٢٧٨] وكأن سكانها صرعى مدامة أو نيام في ليلة صباحها يوم القيامة.

رفات ملك:

وكم في تلك القبور من ملك كان يصرف الأمر من مصر إلى عدن أو يحتل غمدان ذي يزن وكم بها من أمير كان يملأ الدست من جلال ونور وتجي به دجلة والخابور[٢٧٩].

---

[٢٧٥] يلتئم: يلتصق، يرتطم: يختلط، "المعنى": أن أعمال الإنسان في هذه الدنيا كخط في ماء فإنه لا يظهر للعين منقسمًا حتى يلتئم ولا يبقى له أثر وكذلك كأثر في رجل فانه لا يبين حتى يختلط من أرجل المارة أو الرياح "وهنا ملاحظة دقيقة فان التئام الخط في الماء أسرع من اختلاط الأثر في البيداء فأطلق السيد المؤلف المعنى الأول على من له اثر ضعيف في الدنيا وأطلق المعنى الثاني على من له كبار الآثار فيها"

[٢٧٦] الحاجر الأرض المرتفعة ووسطها المنخفض. اذكر تذكر

[٢٧٧] الجدث القبر، العلم علم الطريق علامته. الساهرة الأرض ، "المعنى" يقول أنكما ان ابصرتما هذه القبور تريا كل قبل منها كأنه علم فاصل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة وهذا التشبيه بيدع جدا في جملة القبر كالعلم الفاصل بين الحياتين .

[٢٧٨] الخط ما خط في الارض من قبر ونحوه. متضأيق غير متسع .

[٢٧٩] "المعنى" يقول ان هؤلاء الموتى وهم مطرحون على الأرض قد صرعتهم المدامة أو انهم ناموا في ليله طويلة لا يتجلى ظلامها الا في صباح يوم القيامة.

رفات حسناء:

وكم فيها من حسناء بضة[٢٨٠] كأنها صليحة فضة، أصابها الهزال كما يصيب الهلال وأعقل الجسم السقيم كما يعقل النسيم، وإذا بها في القبر كأنها مصباح راهب، في قبة مظلمة أو كنز راغب، مهجورة معتمة[٢٨١] وإذا بجسم كان يخشى عليه الهزال، أصبح وهو بال[٢٨٢] وخد كان يصان عن قبلة، تعبث فيه الآرضة والنملة[٢٨٣] وتغور كأنها أقاح أو حبب على راح، تنثر في البوغاء وتخلط بالحصباء[٢٨٤] وعينين كأنهما سنانان أروقان في عامل[٢٨٥] أو سحر الملكين ببابل أضحيتا في الحجاج كما قال الحجاج:[٢٨٦]

---

(٢٨٠) البضة الرقيقة الجلد الممتلئة . الصليحة سبيكة الفضة المصفاة

(٢٨١) "المعنى" يقول أنها سكنت حفيرتها فأضائتها كأنها مصباح الراهب في قبته المظلمة أو كأنها في قبرها كنز من الكنوز الثمينة في قرية معتمة.

(٢٨٢) "يقول" وإذا بجسمها الذي كنا تخشى عليه الهزال والنحول أصبح في القبر انحلت اجزاءه وتلاشت.

(٢٨٣) الآرضة دويبة صغيرة "يقول" واذا بخدها المصون غن القبلات قد اضحى والنمال تقتتل عليه والآرض تنخر فيه.

(٢٨٤) الثغور: جمغ ثغر وهي الثنايا. البوغاء: ما يثور من الغبار

(٢٨٥) السنان: حد الرمح. العامل: الرمح

(٢٨٦) الملكان ببابل: هما هاروت وماروت. تزعم العرب أنهما كانا من الملائكة عصيا ربهما فأهبط بهما إلى الأرض واستوليا على مدينة بابل وقد ألبسهما الله الجنة الانسانية ليكونا حكما للناس ويمنعاهم عن الأغواء بالاهواء فجرى من أمرهما ان أغواهما حب النساء حتى بعدهما عن رضى الحق وبما أن عنصرهما الأصلي روحي ولهما حقيقة الاطلاع على الاجرام العلوية

كــأن عينهــا مــن الغــؤور لحدان في قلبي صفا منقور[287]

وإذ ثديان كأنهما حقان من مرمر، أثبتا بمسمارين من عنبر، باتا من الدود كأنهما أخدود[288] وإذا بمنزلها في الدور أشعث مهجور، كأن محجر بلا حدق أو شجر بلا ورق وكأنه مات بعد ساكنيه وكأنهم كانوا روحًا فيه[289]. وكم ذا بت في ذاك الثرى خدود وجباه وثغور وشفاه وسلب من أنف شمم ومن بنان عنم[290] وكم خربت فيه قصور وهتكت سور وجمعت أضداد وفرقت أمهات وأولاد، سبحانك اللهم وسعدانك من حبس إلى رمس ومن عبث إلى حدث، عمل ثم أمل[291].

عـذت بمـا عـاذ بـه إبـراهيم مسـتقبل القبلـة وهـو قـائم
انـــي لـــك اللهـــم عـــان راغـــم [292]

والسفلية فأحكما صناعة السحر ويقولان في أمثالهم "أسحر من هاروت وماروت" ويصفون بابل إلى السحر. الحجاج العظيم الذي ينبت عليه الحاجب.

(287) الغؤور: الذهاب في الأرض. القلت: النقرة في الصخر.

(288) الثدي: معروف. الحق: الوعاء . الأخدود: الحفرة في الأرض.

(289) المحجر من العين ما دار بها.

(290) الشمم: ارتفاع أرنبة الأنف وهو كناية عن العظمة. العنم: كناية عن الحناء التي في أصابع النساء.

(291) سبحانك: أصلها سبحان الله أي أبريء الله من السوء براءة والكاف للخطاب. سعدان: اسم للاسعاد ومعنى سبحانك وسعد انك أي اسبحك وأطيعك، الحبس هذا كنأية عن الدنيا. الرمس: القبر. العبث: كناية عن الحياة. الجدث: القبر. الأمل: التمني.

(292) عاذ من كذا: أي لجأ إليه واعتصم. عان: خاضع . راغم: مرغم.

العزلة

صفة العزلة عن الناس:

كتابي إلى السيد أيده الله وكلأه ورعاه، وأنا حل بقري السواد وريف البلاد[٢٩٣]بعيد المدينة، وما فيها من الشيمة والزينة، في عزلة عن الناس، بين سقى وغرا س، سليم الجسم من السقم والنفس من الألم والحمية من الأنام، كالحمية من الطعام، شفاء من كل داء وخليق بمن ارتطم في المزدحم، أن يصاب ببعض الأوصاب[٢٩٤].

وصف الريف:

ياما أحيلي الوحدة والريف وذلك المشتى والمصيف، والجو السجسج والظل الوريف[٢٩٥].

وصف الفجر:

فجر يلوح في الأفق، كالنور في الأعين الزُرْق وضياء ينبثق في

(٢٩٣) كلأ: حفظ وحرس. الحل: النازل بالمكان. السواد: القرى والريف.

(٢٩٤) "المعنى": أن السعادة مدارها على سلامة الجسم من الأسقام والنفس من الآلام؛ فهو يقول إنه حاصل عليها جميعها في هذه العزلة والتقليل من الاجتماع على الناس كالتقليل من الطعام فيه خير ومصلحة.

(٢٩٥) السجسج: وقت لا حر ولا برد، الوريف: المتسع الممتد.

الفضاء، كما ينبثق الماء(٢٩٦) وشمس تبدو للإشراق في الآفاق، كبودقة فيها ذهب أو قنبلة ترمي باللهب(٢٩٧)، فيرتفع جرس كل حيوان "كممنون" في الأوثان، فللإنسان تسبيح وتكبير، وللإبل حنين وهدير وللحمام هديل وللخيل صهيل وللبقر خوار وللمعز يعار وللغراب نعيب وللأرنب ضغيب وللذئب ضغاء وللغنم ثغاء(٢٩٨).

وصف قرية وأهلها:

وبين ذلك بيوت من قرميد وسقوف من جريد وأفن من حجر وبجد من وبر(٢٩٩)وقطار من آبال تسير بالغدور الآصال في أعناقها الأجراس وفي رجالها الأمراس، يحدوها سواق حطم كأنه الزلم(٣٠٠).

---

(٢٩٦) "المعنى" شبه ضياء الفجر في زرقاء السماء بالنور في العيون الزرق ووضوح الضياء على الدنيا بمسيل الماء على الخضراء.

(٢٩٧) البودقة: آلة كروية الشكل يصنع الصائغ فيها الحلي ويفك الذهب.

(٢٩٨) الجرس: الصوت، "ممنون": تمثال ذكره قدماء المؤرخين من المصريين وقالوا أنه كان بجوار مدينة طيبة ومن خاصيته أنه في كل يوم اذا اشرقت الشمس يصيح صيحة واحدة وربما كان ذلك حيلة من الكهنة حيث يدخل أحدهم في جوفه ويصيح فيوهمون العامة بذلك. الحنين: حنين الناقة صوتها في نزوعها إلى ولدها. الهدير: هدير البعير، صوت في غير شقشقة. الهديل: صوت الحمام، الصهيل: صوت الفرس. الخوار صوت البقر، اليعار: صوت المعاز ، النعيب: صوت الغراب، الضغيب: صوت الأرنب. الضغاء: صوت الذئب إذا جاع. الثغاء: صوت الغنم.

(٢٩٩) القرميد: الآخر، الأقن: جمع أقنة بين يبني من حجر . البجد: جمع بجاد وهو كساء مخطط من أكسية الأعراب.

(٣٠٠) آبال: جمع أبل، الأمراس الحبال.

وراعي غنم بين الغرقد والسلم، يبفعه مدخل الليل إلى مجرى السيل، يشرب بالعلب وينفخ في القصب[٣٠١] وفي كل محلة بر يقنى وحريملة تجنى وقصب يسكر وسليط يعصر وزبد يمخض وصريح يمحض[٣٠٢] وأناسي من أربتى وقروي، هريت ثوبه، نقي جيبه، كريم في أطمار، كالخمر في خزف وقار[٣٠٣].

وصف الصيف:

فإذا أقبل الحرور، ألفيت كل أرض كشعر أبي نواس وكل نهى كقطعة من ماس وعلى كل علم، برد منمنم وفي كل غيط وشي وديط، إلى أزهار كأنها دنانير جدد أو ولاهم بدد، فصوص من يواقيت أو أوائل النار في أطراف كبريت[٣٠٤] وعندليب وكركى وحمام وقمرى وبط على الشط وأوز في النز[٣٠٥].

حتى إذا استحكمت من الصيف الوقدات واستحرت الوغرات، إذا الحجران قد أصفرت والعيون قد نشت واستن السفا والذوق، على القبق

---

(٣٠١) الفرقد: شجر عظام ، السلم: شجر من العذاد يدفع به . العلب: جمع علبة ، قدح ضخم من جلود الإبل يشرب ويجلب فيها، ينفخ في القصب: كناية عن المزمار.

(٣٠٢) الحريملة: القطم الجيد.

(٣٠٣) هريت ثوبه: الأصل في هريت الواسع الشدقين فهو كناية عن اتساعه، القار: شيء أسود.

(٣٠٤) بدد المتفرق "المعنى" يقول ان هذا الازاهر قد تنوعت ألوانها فمنها ما هو أصفر كالدنانير، أو أبيض كالدراهم أو أحمر كاليواقيت، أو أزرق كأول النار في الكبريت.

(٣٠٥) العندليب: طائر يقال له الهزاز، الكركي: طائر يقرب من الأوز، الشط الشاطيء، النز: ما يتحلب من الأرض في الماء.

وغدت الحقول وهي عصف مأكول والبطاح صعيدًا تذروه الرياح[٣٠٦] ولاح السراب على الشعاب.

كالرياط البيض والملاء الرخيص وجن الذباب وصم الغراب وسكن العصفور مع الغضب في حجر وسال لعاب الشمس كمذاب الصفر[٣٠٧] ودوي النحل في المحل ووثب الجراد في الوهاد، وانساب الفضفاض على الرضراض، وخرج الذر من الجفر[٣٠٨]، طاب المقيل، في الظل الظليل، ففي كل دوحة أستار وحجب وتحت كل سدرة فيه وطنب[٣٠٩] وسرى النسيم في الظهيرة بين الأشجار، كأنه نسيم بين الأسحار[٣١٠].

فصل الشتاء:

فإن أظل الشتاء، كنت فو جو كأدكن الخز وأرض كأخضر القز ولقحة تدر وكلب يهر، ونكباء صرصر[٣١١]وخبز سميد وحمل حنيذ ولباء وماذى وكامح طري وحالوم وصير وخير كثير[٣١٢] وليل مطلول،

---

(٣٠٦) الوقدات: جمع وقدة وفي اشد الحر، الوغرات: شدة ترقد الحر . نشت أخذ ماؤها في النضوب. استن أي طال ويبس . السفا: شوك البهمي.

(٣٠٧) الصفر: الذهب

(٣٠٨) الذر: صفار النحل . الجفر: البئر الواسعة

(٣٠٩) المقيل: موضع القيلولة . السدرة: شجرة النبق . الطنب: حبل طويل يشد به سرادق البيت

(٣١٠) الظهيرة: انتصاف النهار وقيل خاص بالصيف "المعنى" يقول ان هواء هذه البقعة في وقت الظهيرة عند احتدام القيظ يكون بليلا رطبا كأنه نسيم السحر.

(٣١١) الأدكن: المائل إلى السواد. الخز: الحرير.

(٣١٢) الحمل: الخروف . حنيذ: المشوي، لباء: لبن، ماذي: غسل أبيض، القامخ: مخللات

كأنه ليل صول وموقد ودخان وسمار وضيفان.

وفي الجو غيم قد تعلق بين الأفقين وتدلى قاب قوسين، كأنه فرو مزرور أو كافور منثور[٣١٣] تمج لواقحه الماء، مج الدلاء، وترتعج فيه ألسنة اللهب، كسلاسل الذهب[٣١٤] والطير كان بلا حراك، كأنها من الغيث في شباك.

النفس بين الرياض:

سراء في جميع الأنحاء وراحة في كل ساحة، فكأنما نفس الإنسان في كل مكان، عين ماء، تصف ما يقابلها من الأشياء. فإن كانت حذاء رياض وفضاء وفياض، ألفيت فيها روضًا وزهرًا وسماء وفجرًا. وإن كانت بين الحيطان القتماء وبيوت المدن الدكناء، ألفيتها مهتمة، كدراء مظلمة[٣١٥].

---

(٣١٣) مزرور: أي مشدود بأزرار

(٣١٤) ترتعج: تضطرب وتموج

(٣١٥) القتماء: السوداء، الدكناء: المائلة إلى السواد.

كتب العلماء والحكماء

وصحبي في هذه العزلة نفر من صياب الأقوام ولباب الأنام. فمنهم أبو تمام والحارث بن همام وعروة بن الورد وطرفة بن العبد، وكثيرًا ما ينشدنا أحمد بن سليمان، باقعة معرة النعمان[٣١٦].

ذربنـــي وكتـــي والريــاض ووحـــدتي   أطــل كــوحش باحـــدى الأطلـــس

يســـوف أزهـــار الربيـــع تعلـــه   ويأمن في البيداء شر المجالس[٣١٧]

ويقول أيضًا:

غنيـــت عـــن زائـــر ملـــم   فليشـــغل الخيـــر زائريـــا [٣١٨]

وربما أسمعنا ثعلب عن قطرب:

تمـر علينـا الأرض مـن أن تـرى بهـا   أنيسًا ويحلولي لنا البلد القفر[٣١٩]

أو ارتجل ابن المعتز وارتجز:

قليـــل همـــوم الـــنفس إلا للـــذة   يـــنعم نفسًـــا آذت بالتنقـــل

---

[٣١٦] أحمد بن سليمان: هو أبو العلاء المعري. الباقعة: الذكي الذي لا يفوته شيء.

[٣١٧] الامالس: جمع أملس وهي الفلاة ليس بها نبات. يسوف: يشم. التعلة: ما يتعلل به. "المعنى": يقول دعيني ووحدتي أكون كوحش في فلاة أنيسي فيها كتاب أقرأه وأعلل النفي بشم الأزهار، فأكون قد أمنت في هذه البيداء شر الاختلاط.

[٣١٨] "المعنى": إن كانت زيارة هذا الزائر فيها خير، فليعد به على نفسه، فإني غني عنه وعن غيره.

[٣١٩] "المعنى": أنه يستثقل وجود الناس معه ويستحلى القفر لخلوه عن الأنيس نقرة من شرور العالم

ولست تراه سائلًا عن خليفة ولا قائلًا من يعزلون ومن يلي
ولا صائحًا كالعبر في يوم لذة بناظر في تفضيل عثمان أو علي
ولكنه فيما عناه وسره وعن غير ما يعنيه فهو بمعزل[٣٢٠]

وإن شئنا حدثنا أفلاطون ونادمنا ابن زيدون وعالجنا بقراط ووعظنا سقراط.

ولي دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء وجبال
هم الأهل لا مستودع السر ذاع لديهم ولا الجاني لما جر يخذل[٣٢١]
أيامنا في ظلالهم أبدا فصل ربيع ودهرنا عرس[٣٢٢]

الوحشة من الاجتماع:

يدعوني اليبد دام علاه وكبت عداه أو أهجر الدساكر وسكن الحواضر وترك تلك القلاع والأيفاع[٣٢٣] وأقبل على الاجتماع، فقد كان ذلك قبل اليوم "ألا من يشتري سهرًا بنوم"[٣٢٤] كيف بعد التجارب

(٣٢٠) "المعنى": أروح نفسي بالتنقل من محل لآخر غير سائل عن ملك وغير متطلع إلى من يعزل أو يتولى أو أكثر من اللجاج في المفاضلة بين عثمان وعلى ولكني انغمس فيما يهمني ويسرني.

(٣٢١) السيد: الذئب. عملس: الذئب الخبيث، الارقط: النمر، الذهلول: الأملس لكثرة شعر رقبته، العرفاء: الضبع. الجبأل: الانثى من الضبع، "المعنى": أن لي في العزلة أهلا سواكم من الوحوش الضارية، فإن سرى لا يذاع لديهم ولا يخذلوني في الشدة.

(٣٢٢) "المعنى" يقول أن أيامي التي أقضيها في العزلة كأنها فصل الربيع ودهري كله عرس.

(٣٢٣) كبت: ضرع، الدساكر: جمع دسكرة وهي القرية العظيمة، التلاع: جمع تلعة وهي ما علا من الأرض. الأيفاع: جمع أيفع وهو التل المشرف.

(٣٢٤) هذا مثل عربي يضرب لمن غمط النعمة وكره العافية "المعنى" يقول أن في العزلة الراحة وفي الاجتماع التعب فلا يستبدل أحد الراحة بالتعب.

الرجوع، أن المعافي غير مخدوع[٣٢٥]. دع النفس وشأنها "أعمرت أرضًا لم تلمس حوذاتها"[٣٢٦].

إذا تركت العزلة فمن أقصد بالنفلة؟[٣٢٧]

والقــوم شــر فــلا يســررك إن بســطوا   لك الوجوه ولا يحزنك إن عبسوا[٣٢٨]

أأفعل ذلك وأقطع تلك المسالك، رغبة في حوار حاكم ديوان أو جوار، صحبان وخلان، أم لمنافسة أبناء السامة، أم ملابسة هذه العامة؟[٣٢٩].

وصف الحكام:

أما الحاكم، فأكثر ما لقيت امرءًا إن أونس، تكبر، وإن أوحش تكدر، وإن قصد تخلف وإن ترك تكلف[٣٣٠]، لا يضر ولا ينفع، قبة جوفاء تردد ما يلقى فيها من النغم، إن لا فلا أو نعم فنعم، ألقاب وأكاليل على شخص في مرسح التمثيل. فإن طرحت تلك الألقاب

---

(٣٢٥) مثل عربي يضرب لمن يخدع فلا ينخدع.

(٣٢٦) مثل عربي يضرب لمن يحمد شيئا قبل التجربة.

(٣٢٧) "المعنى" يقول بعد كل ذلك فمن أقصد أذا تركت العزلة والناس على ما ذكرت والاختلاط معهم مجلبة للهم والكدر.

(٣٢٨) "المعنى" يقول لا يغتر المرء بالناس ما داموا أشرارا سواء بسطو له الوجوه أو قطبوها.

(٣٢٩) حوار مراجعة الكلام . السامة الخاصة من الناس. الملابسة المخالطة.

(٣٣٠) "المعنى": يقول أما الحاكم فإنه في القرب منه متكبر، وفي البعد عنه متكدر واذا قصده المر في شئ تخلف عن قضائه واذا تركه تكلف.

ونزعت هاتيك الثياب، ألقيت تحتها العجب العجاب[٣٣١] .

لا عدة ولا عدد وملك أقامه الله بلا رجال، كما رفع السماء بغير عمد من ولا منة، "كالمهدر في العنة" وأعوان وخدام وحجاب كحجاب أبي تمام[٣٣٢] .

إلى تيه وخيلاء وعنجهية وكبرياء، كأنه جاء برأي خاقان أو أدال دولة بني مروان[٣٣٣] أو أن الإيوان داره والهرمين آثاره وعصام بن شهبر حاجبه وعمر بن بحر كاتبه[٣٣٤] والحجاج غلامه والحماسة كلامه[٣٣٥]. رويدك بما علت الجيف وانحط الدر في الصدف وارتفع في الميزان جانب النقصان[٣٣٦].

على أن الإنسان إذا لم يكن فيه غير جثمان. فكلما علا يصغر

---

(٣٣١) إمعة: الرجل يتبع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء. جوفاء: واسعة.

(٣٣٢) المن: الأنعام من غير تعب ولا نصب، المنة القوة (المهدر في المنة) المهدر الجمل له هدير. والعنة: مثل الحظيرة تجعل من الشجر للابل وهذا مثل عربي يضرب للرجل الذي لا ينفذ قوله ولا فعله.

(٣٣٣) العنجهية: الجهل والحمق.

(٣٣٤) عصام بن شهبر: حاجب النعمان الذي ضرب به المثل بقوله ما وراءك يا عصام. عمرو بن بحر: المعروف بالحاجظ.

(٣٣٥) الحجاج: هو الحجاج بن يوسف الثقفي، الحماسة: الكتاب الذي جمع فيه أبو تمام الجيد من أشعار العرب.

(٣٣٦) "المعنى" يقول لا تتكبر لأنك ان علوت في هذا الزمان فقد تعلو الجيف ويفوض الدر في الماء وكذلك الميزان ترتفع منه الكفة غير الراجحة.

لمن ينظر[٣٣٧] وربما حسن الأفن. تعظيم الوثن[٣٣٨].

عبـــــوس إذا حييتـــــه بتحيـــــة فيا لك من كبر ومن منطق نـذر[٣٣٩]

الأصحاب والخلان:

وأما الأخلاء والصحب والسجراء، فحسبك من رجل عون في كل أمر ترده وتصير في كل مطلب لم تقصده[٣٤٠]. فإن عرض لك بعض الحاج، فالعلوي يسترقد الحجاج، ماء يتلون بلون الإناء،– ونيلوفر– يدور مع الشمس في الإصباح والإمساء[٣٤١].

إن جددت فإليك أو شقيت فعليك، مدح مع المادح وقدح مع القادح [٣٤٢] أجسام متدانية وقلوب متنائية، وإن كان خبر سوء، فحماد

---

[٣٣٧] الجثمان: الجسم.

[٣٣٨] الافن: ضعف الرأي. الوثن: الصنم. "المعنى" يقول إنك إن وجدت من الناس احتراما لك، فلا بدع في ذلك فإن العقل الضعيف يعظم الوثن، بل يعبده عبادة من دون الله.

[٣٣٩] النذر: القليل، "المعنى" يقول أنك إذا حييته تلتقاه عبوسا وترى منه كبرا جما وكلاما قليلا نزرا.

[٣٤٠] السجراء: الأصحاب، "المعني" يقول أما الأصحاب والإخوان، فإنهم عون على رزايا الدهر ونصراء اذا لم تكن لكم حاجة.

[٣٤١] "المعنى" أن الصحب إذا كنت في شدة وكانت لك حاجة لديهم، فمثلك معهم مثل العلوى الذي هو من نسل آل البيت حينما يقصد احجاج الذي هو صنيعة بني أمية وعدو العلويين– النيلوفر: نبات لا يورق إلا في الماء وقيل إن زهرته تتجه مع الشمس أينما سارت، "المعنى" يقول إن الإخوان كالماء الذي يتلون بلون الإناء الذي يكون فيه وذلك لنقائهم وكالنيلوفر الذي يتجه مع الشمس من الصباح إلى الغروب.

[٣٤٢] جددت: أي عظمت في عيون الناس "المعنى" يقول أن ساعدك الحظ فأنت لديهم عظيم وان نالك بعض الشقاء جادا باللائمة عليك وأن مدحك انسان فهم كذلك وان قدح فيك قادح كانوا عضدا له.

الراوية[٣٤٣] حدث عن البحر ولا حرج، مأذنة في ظاهر مستقيم وباطم معوج[٣٤٤].

لـه لطـف قـول دونـه كـل رقيـة ولكنه في فعله حية تسعى[٣٤٥]

أبناء الأغنياء:

وأما أبناء السامة، فإن أحدهم غادة ينقصها الحجاب[٣٤٦]. ينظر في المرآة ولا ينظر في كتاب. إنما هو لباس، على غير ناس، كما تضع الباعة مبهرم الثياب على الأخشاب[٣٤٧] رماد تخلف عن نار وحوض شرب أوله ولم يبق منه غير أكدار[٣٤٨] آباء وأحساب وحال كشجر الشجلم أحسن ما فيه ما كان تحت التراب[٣٤٩] "ترى الفتيان كالنخل وما

---

(٣٤٣) "المعنى" يقول إن هؤلاء الاخوان ترى اجسامهم متدانية في مجتمعاتهم ومحال سمرهم ولكن قلوهم متباعدة وإن أصابك سوء أذاعوه كحماد الرأوية لأنه كان من أكبر رواة الشعر.

(٣٤٤) "المعنى" يقول إن الإخوان قد يكون ظاهرهم يورى الصلاح وباطنهم يكن الفساد فمثلهم كمثل المأذنة ترى استقامة في ظاهرها ولكن باطنها معوج لدورة سلمها.

(٣٤٥) "المعنى" يقول إنك ترى منه لطفا في القول ولكنك أن كشفته عن ضميره لوجدته حية تسعى.

(٣٤٦) السامة: الخاصة من الناس.

(٣٤٧)"المعنى" أن الثياب التي تراها عليهم ويعجبك لونها إنما هي على غير ناس كما تفعل التجار عند عرضها البضاعة لينظر إليها المارة فأنها تضع الثياب الفاخرة على تماثيل من خشب بشكل الإنسان.

(٣٤٨) "المعنى" أن أبناء الخاصة ما هم بعد آبائهم إلا كالرماد الذي تخلفه النار لا يجدي نفعا.

(٣٤٩) الشجلم: اللفت، "المعنى" أن لهم آباء وأحسابًا كريمة ولكنهم لم يتجملوا بما تجمل به آباؤهم، فكان مثلهم كمثل نبت الشجلم وهو اللفت. فإن ثمره يكون دفينا تحت التراب وورقه الخالي من الفائدة ويكون باديا للأعين، ويريد بالدفين آباؤهم.

يدريك ما النخل"[٣٥٠] إلى رطانة بالعجمة بين الأعراب "أبرد من استعمال النحو في الحساب"[٣٥١]، "لو كان ذا حيلة لتحول"[٣٥٢] ميسر يلعب ومال يسلب وخدن يخدع وكلب يتبع وعطرًا ينفخ وفرس يضبح[٣٥٣]. دنيا موجودة ونفس مفقوة وعقل أسير وهوى أمير "اليوم خمر وغدًا أمر". [٣٥٤]فبيناه غني يتملك، إذ هو فقير يتصملك قوت كيلًا يموت.

ومن إيوان كسرى إلى بيت العنكبوت[٣٥٥].

---

(٣٥٠) هذا مثل عربي يضرب لذي المنظر لا خير عنده.

(٣٥١) مثل يضرب لمن يضع الشيء في غير موضعه.

(٣٥٢) مثل عربي أصله أن رجلا جلس في بيت وأوقد فيه نارا كثيرة فكثر فيه الدخان حتى قتله فمر سائل فلما عرف السبب قال لو كان ذا حيلة لتحول.

(٣٥٣) يضبح: الضبح صوت أنفاس الخيل عند عدوها، "المعنى" يقول لاهم لهم إلا ميسؤ يجتمعون عليه، فتضيع بذلك أموالهم أو يترددون على محل الفحش، فتخدهم الأخدان أو يسيرون في الطرق وكلابهم تتبعهم والعطر منتشر فيهم أو أرادوا التنزه خارج المدينة ضجت خيولهم من العدو.

(٣٥٤) "اليوم خمر وغدًا أمر": هذا المثل لأمرئ القيس ومعناه "اليوم خفض ودعة وغدا جد وشدة" وأصله أن أباه طرده لتعلقه بالشعر فذهب إلى اليمن، فما زال حتى قتل أباه، فأخبروه بذلك. فقال: اليوم خمر وغدا أمر، فذهب قوله مثل.

(٣٥٥) "المعنى" أن أحدهم يصبح بعد النعمة فقير لا يملك إلا القوت الضروري وينتقل من القصور إلى البيوت الحقيرة التي كأنها بيوت العنكبوت.

الحرص

- أو -

تثمير المال للذرية والآل

أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل، إن المال وسبة لا غاية. فإن أصبت منه الكفاية، فقد بلغت النهاية[٣٥٦]. ليس لك من عيشك إلا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت ولو أفرغ ذنوب في كوب ما أخذه إلا ملأه،ولا وسع إلا كفاه [٣٥٧].

عجبت للمالك القنطار من ذهب ... يبغي الزيادة والقيراط كافية
وكثرة المال ساقت للفتى أشرا ... كالذيل عثر عند المشي ضافية[٣٥٨]

فلم هذا الطماح والطمع والاستكلاب والجشع؟!

أنت للمال إذا جمعته ... وإذا أنفقته، فالمال لك[٣٥٩]

أتظن أن الدرهم حبيس في مستقر، إن خرج فر، أم صديق منك

---

(٣٥٦) "المعنى" يقول يا أيها الإنسان إن المال وسيلة والغاية منه قضاء المصالح به.

(٣٥٧) الذنوب: الدلو، الكوب: كوز مستدير لا عرورة له.

(٣٥٨) الأشر: البطر.

(٣٥٩) "المعنى" يقول أنت لا توال حبيس مالك مادمت عاملا على خزنه وجمعه وأما إذا أنفقته في وجوهه، فيكون حبيسك.

وإليك، إن لم تحرص عليه لا يحرص عليك[٣٦٠] أو أن بيت المال بيت فريض، إن نقص منه حرف أدركه التقويض أو أن شيئًا عليه آية من القرآن أو صورة لسلطان، حرى أن يكون تعويذة من لجين، تدخر لدفع العين[٣٦١] أم أردت أن تعيش كدودة القز أو تكون كطلسم على كنز[٣٦٢].

حتى إذا قضيت ومضيت، ألقى بنوك ما ثمرت في تلك الهاوية وما أدراك ماهية نار حامية[٣٦٣] وأطعم بناتك شحمة مالك، لغير آلك.

وأكثر النسل يشقى الوالدان به	فليته كان عن آبائه دفعا
وكم سليل رجاه للجمال أب	فكان خزيًا بأعلى هضبة رفعا[٣٦٤]

---

(٣٦٠) "المعنى" يقول هل ظننت أن الدرهم سجينك وتخشى عليه الفرار إذا خرج أم هو صديق لك وتخاف إن لم تحرص عليه دائما يصد وينفر.

(٣٦١) "المعنى" يقول أم ظننت أن بيت المال بيت من الشعر اذا نقص منه حرف كان مختل الوزن أم حسبت أن هذا الدرهم وقد كتب عليه آية من القرآن أو رسم عليه صورة ملك من الملوك يكون جديرا بأن يحفظ ذخره لينفع من العين.

(٣٦٢) "المعنى" يقول هل أردت أن تكون كدودة الحرير تعطي الحرير لغيرها وهي لا تنتفع منه بل تموت عندما تظهر ما في بطنها.

(٣٦٣) "المعنى" يقول فإذا مت هلك أبناؤك ما جمعت ويا ليتهم وضعوه في محاله، بل يلقون به في هاوية الترف والبذخ وما يدريك بهذه الهاوية هي نار حامية تلتقم ما يرمى فيها، فتحيله إلى العدم.

(٣٦٤) شحمة المال لبابه: "المعنى" يقول وأما النبات فإنهن يطعمن لباب مالك لأزواجهن، فيكون مالك قد خرج منك إلى غير أقربائك. ويقول أيضا إن أكثر النسل يشقي الوالدان نه، فليت ذلك النسل لم يكن. فكم ولد علل نفسه به أبوه وتمنى أن يكون جمالًا له في الحياة، فكان خزيا له وعارًا.

العامة من الناس:

وأما العامة أيدك الله، فهم عظم على وضم وصيد في غير حرم، سيد مأسور والإخشيد في يد كافور ويتيم غني في يد وصي(٣٦٥). فبينما ترى قصورًا وثراءً وحبورًا وسراء وعربات تترى، يعدو أمامها السليك والشنفري ويقودها داحي والغبراء على بساط الغبراء(٣٦٦).

وخراج قرية أو قريتين يذهب في لهو ليلة أو ليلتين. تجد أرملة صناعًا وأيتامًا جياعًا وشيخًا يعمل وهو في أرذل العمر، يقعده العجز وينهضه الفقر أو عذراء كادت تبيع عرضها للاحتياج أو مريضًا عاجزًا عن العلاج(٣٦٧).

وبينما ترى وذاحًا في جيدها عقد كأنه فرود حضار وفي أخمصها

---

(٣٦٥) "المعنى": يقول العامة من الناس، فإنهم كالعظم على الوضم في يد الرؤساء يتصرفون فيهم كيف شاؤا ويستخدمونهم لأعراضهم على أن عامة الأمة هي صاحبة البلد في الحقيقة، فهم إذا مثل الإخشيد الذي هو سيد كافور على أنه كان معه كأنه أسيره لتضييق كافور عليه أو اليتيم الغني في يد الوصي الظالم.

(٣٦٦) داحس والغبراء: جوادان من جياد العرب تسابقا مرة، فنتج عن تسابقهما حرب كبير يضرب بها المثل.

(٣٦٧) "المعنى": أن هؤلاء الخاصة لجهلهم تراهم يبددون أموالهم في ما ذكر من ركوب عربات وتشييد قصور وانهماك في لذة وذهاب أموال في مدة قليلة من الزمن، بينما نرى امرأة مسكينة تكتسب من صنعة يدها لتقوت نفسها ويتيما جائعا وشيخا هرما يجاهد نفسه في سبيل العيش وعذراء تكاد أن تهمل في عفتها من الفقر ومريضا يتقلب على فرش السقم والألم وكلهم لا يجدون إسعافًا أو إنصافًا من الأغنياء.

نعل من نضار، ترى بائسة في عنقها عقد من دموع وفي بيتها فقر وجوع، حال تطرف العيون وتثير الشجون(٣٦٨).

رحماك إن عزلة بين كرم وأعناب ودواة وكتاب ولهي الجماعة والأُنس للنفس. وإن اجتماعًا بكبير يبغض ويزار أو رئيس لا يجد نفسه في الليل ولا تجده في النهار أو عدو ليس من صداقته بُد أو حقود أظهر منه الود أو حسود ملق كالذبالة يضحك ويحترق أو جاهل متعاقل أو متفصح وهو باقل أو صغير به كبر أو خدين فيه غدر(٣٦٩)، لهو وأيم الله الوحشة والحدة والسلولية والغدة.

جـــزى الله عنـــي مؤنســـي بصـــدوده جميلا ففي الإبحاش ما هو إبناس(٣٧٠)

---

(٣٦٨) "الوذاح": الفاجرة، "فرود حضار": كواكب، "المعنى": يقول وبينما ترى فاجرة تلبس العقد الذي كالكواكب وتطأ على نعل من ذهب، ترى البائسة المسكينة انتظمت أدمعها المتساقطة في عنقها حتى صارت لها عقدا وما في بيتها غير الفقر والجوع؛ فهذه الحال ترمد العين وتستذرف الدمع وتثير الحزن.

(٣٦٩) "المعنى": يقول إن عزلتي بين كرم وأعناب ودواة وكتاب لهي الأنس لي، وإن اجتماعي بكبير أبغضه وأزوره وعدو لا أرتضي صداقته وحقود ذليل ولكنه يتودد ذلا وخضوعا وحسود متملق يضمر خلاف ما يبدي وجاهل مجنون يدعي العقل ومتفصح وهو في الحقيقة أبكم وصغير حقير متكبر، وصتحب غدار: هي الوحشة لي.

(٣٧٠) "المعنى": جزى الله الجميل من يصدني، فإني أرى أنسي في البعد عن الناس. "والخلاصة: فإنه يفضل العزلة عن الاجتماع للأسباب العقلية التي أوضحها. وقد ذكر في عرض كلامه "بخل" بعض الناس على أنفسهم وتبذير أولادهم ما جمعوه من مال في اللهو واللعب ولا جرم في ذلك. فإن أكثر من يولد في الغنى يقرب من اللهو واللعب ويبعد من العلم والأدب، ولهذا نرى أن أكثر النابغين من الرجال في كل أمة وجيل خرجوا من بيوت الفقر ومن الأكواخ الوضيعة لا من القصور الرفيعة.

مصر:

أديار مي[٣٧١]تنظر فدموع عينك تمطر
أو أبرق العلمين أم سفح اللوا نتذكر
أن نام[٣٧٢]قلبك جؤذر أحوى المدامع أحور
أم هب في مصر صبا أم طار برق أشقر
أم قد ذكرت بطاحها وهي البساط الأخضر
والنيل في لبانها عقد يلوح مجوهر
والجو صحة مشرق وكأنما هو ممطر
والظل من خلل الشموس مدرهم ومدثر
فكأنه جلد من النهر المرفش ينشر
وغصونها لدن تميد [٣٧٣] بما نقل وتثمر
فكأنهن ولائد في حليها تتكسر
هي نسج وشيء نيلها فيه الطراز الأحمر
هي مثل لوح صورا الفردوس فيه مصور
يا جنة يخبي الجنى فيها ويجري الكوثر
أنا شاعر في وصفها ولكنها هي أشعر
أني بمصر ودونها بحر يعج[٣٧٤]ويذخر

---

(٣٧١) مي ومية: أسماء للنساء

(٣٧٢) تام: عبد وذلل

(٣٧٣) اللدن: جمع لدن وهو اللين من كل شيء. تميد: تلين.

(٣٧٤) يعج: يصبح ويرفع صوته.

يــا ســاخر الفلــك المســخر ... فــــي خضــــارة يمخــــر
أقـــــر التحيــــــة جيـــــرة ... حيــث الكتيــب الأعفــر[٣٧٥]

الهرمين والمقياس والروضة:

فالنيــــــل فالهرمـــــان مـــــن ... غريبـــــــــة فـــــــــالأزهر
فالروضـــــــــة الغنـــــــاء ... والمقيـــاس فيهـــا يشـــبر

قصر عابدين:

فالقصـــــر قصـــــر الملـــــك ... والأوهـــام عنـــه تقصــــر
فيــــه المقاصــــير التــــي ... ألـــــواحهن المرمــــــر
حيطانهـــا الـــذهب الصـــقيل ... وأرضـــــــهن العرعــــــر
قـــد صـــور التـــاريخ فـــي ... أرجــــــائهن مصـــــور
فتـــرى الوقـــائع منظـــر ... فكأنمــــا هــــي مخبــــر
والجنـد تخطـر فـي الحديـد ... فـــــــدارعون وحســــــر
والخيـــل بـــين عجابهـــا ... تخفـــي وحينـــا تظهـــر
وتظـــن إحيـــاء بهـــا ... فـــتمس كمـــا تخبـــر

الجزيرة:

ثـــم الجزيـــرة تســـتبيك ... بهــــا أوانـــــس نفــــر
عجلاتهـــا فلـــك بأشـــياء ... النجـــــوم يـــــدور
مـن كـل خركـاة[٣٧٦] بحسـناء ... تضـــــيء وتقمـــــر

---

(٣٧٥) الكتيب: التل من الرمل، الأعفر: الرمل الأحمر.

(٣٧٦) الخركاة: مركبة النساء في المواكب.

فكأنهـــا المشـــكاة [٣٧٧] والمصـــباح فيهـــا يزهـــر

الجيزة والمتحف:

فـــالجيزة الخضـــراء يعبـــق رنـــــدها والعبهـــــر [٣٧٨]
فيهـــا النعامـــة والحبـــاري والمهـــــا والقســـــور
كســـفين نـــوح أظهـــرت مـــا كـــان فيهـــا يضـــمر
وتـــرى الغصـــون علـــى الأرائـــك تلتـــوي فتشـــجر
وجـــــدأول كســـــبائك بســـنا الأصـــيل تعصـــفر [٣٧٩]
مـــاء كـــالبور يـــذوب وأدمـــــــع تتقطـــــــر
يـــروى القطـــا الكـــدري منـــه وينتحيـــه الجـــؤذر
فـــي حافتيـــه الـــورد والنســـرين والنيلـــوفر
وعليـــه مـــن نســـج الصـــبا درع هنـــــاك ومغفـــــر
فالقصـــر وهـــو لمـــن مضـــى مـــن أهـــل مصـــر مقبـــر
نشـــرت بـــه أمـــواتهم فكأنمـــا هـــو محشـــر
(رمســـيس) أيـــن مطـــارف الـــدبياج ابـــن الجـــوهر
أيـــن الســـرير وأيـــن تـــاج الملـــك أيـــن المســـكر
ثـــم فـــي رقـــاد لـــيس فـــي أحلامـــه مـــا يـــذعر

---

[٣٧٧] المشكاة: الأنبوبة في وسط القنديل.

[٣٧٨] العبهر: النرجس والياسمين.

[٣٧٩] تعصفر: أي تصبغ بنور الأصيل الذي يشبه لون العصفور، "النيلوفر": ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة.

ملعب الحياة:

فـــالموت نـــوم أكبـــر ... والنـــوم مـــوت أصـــغر
دنيـــا تشـــابه ملعبًـــا ... والليـــل ســـتر يســـتر
(والفصـــل) يضـــحك والثريـــا ... الشـــمس فيـــه تنـــور
جنـــد هنـــاك وســـوقة ... ومتـــوج ومســـخر
فـــإذا طرحـــت ثيـــابهم ... ســـاوى الأعـــز الأحقـــر

الأزهر:

فـــالأزهر الزاهـــي يـــدوي ... بـــالعلوم ويجـــأر
كـــدوى نحـــل وهـــو يجمـــع ... شـــهده أو يـــذخر

حديقة الأزبكية:

فالأزبكيـــة حيـــث تطـــوي ... بالمشـــي وتنشـــر
وتبيـــت نســـج فـــي الـــدجى ... ورقاؤهـــا والمزهـــر
والبركـــة الفيحـــاء فـــي ... فصفاصـــها تتمرمـــر

وصف المياه:

مـــاء كعـــين الـــديك[٣٨٠] ... يـــنظم بـــالنجوم وينثـــر
وتـــرى ضـــياء البـــدر فيـــه ... كمثـــل عـــين تفجـــر
وإذا تلـــوح الشـــمس فـــي ... لألائـــه أو تســـفر
ألفيتـــه المـــرآة والحســـناء ... فيهـــا تنظـــر

(٣٨٠) عين الديك: يضرب بها المثل في الصفاء .

قلعة الجبل:

فالقلعـــة العليـــاء تجلـــى   للعيـــــــان وتبصـــــــــر
بمـــــآذن كـــــالحق لا   جنـــــف ولا متـــــأطر[٣٨١]

مجد مصر القديم:

قـــد تمصـــر فـــي الـــورى   والأرض بـــــر أفقـــــــر
وطـــــن الغريـــــب وداره   وقبيلـــــــة والمعشـــــــر
ملـــــك محـــــيط الأرض   يصـــغر عـــن مـــداه ويكبـــر
فـــي كـــل صـــرح مخبـــر   وبكـــل ســـفح منظـــر
ولكـــــل لبنـــــة غرفـــــة   فيهـــا حـــديثًا يـــذكر
فرعـــون والأنهـــار تجـــري   واللـــــوى والمنبـــــر
ذهبـــوا فأمســـوا مثـــل   رؤيـــا فـــي المنـــام تعبـــر
هرمـــان فيـــه شـــاهدين   شـــــهادة لا تنكـــــر
وهياكـــل دثـــرت وذكـــر   حـــــديثها لا يـــــدثر
والمجـــد مثـــل الخمـــر يكـــرم   مـــا تـــوالى الأعصـــر
كانـــت ســـلاطين الـــورى   فيـــه تشـــيد وتعمـــر
والغـــرب فـــي أعمالـــه   والقبلتـــــان وتـــــدمر
والخيـــــل خيـــــل الله   تركـــب الصـــوائف تنصـــر[٣٨٢]
وفرنجـــة[٣٨٣]ومليكهـــا   تغـــزي بمصـــر ونؤســـر

---

(٣٨١) الجنف: الجائر والمائل. المتأطر: المنثني .

(٣٨٢) الصوائف: جمع صائفة وهي الغزوة في الصيف.

(٣٨٣) فرنجية: يشير إلى واقعة مشهورة بين صلاح الدين وبين فرنسيس ملك الفرنجة.

هــذي مناقــب مصــر تــروى فـــــي الأنـــــام وتســـــطر
ولســـوف يرجـــع مـــا مضـــى ويعـــــود ذاك المفخــــــر
وكـــــذا الزمـــــان يـــــدور والقـــدر المغيـــب محـــور
والبـــدر إن وافـــى الســـرار فبعـــــد ذلـــــك يبـــــدر
والمـــود بيـــبس برهـــة فـــأذاه عـــود أخضـــــر

ذات القوافي:

ســـقى دور ميـــة بـــالأجرع مسف من الدجن لم يقلع[٣٨٤]
ولـــو تـــرك الشـــرق مـــدمعا ســقيت المنــازل مــن أدمعــي
شــــجي يحــــن لألافــــه ويصــبو إلــى دهــره الغـابر[٣٨٥]
فهـل عائـد لـي زمـان مضـى بنعف الغوير إلى الحاجر[٣٨٦]
أرى بـين أحنـاء صـدري نـارا تؤججهـا الـريح إذا مـا هفـت
وبـين جفـوني سـحبا ثقـالا إذا مـا تـألق بـرق همـت[٣٨٧]

الهوى وأعماله:

وسـاورني الحـب حتـى ثـوي كـأيم علـى مهجـي ملتـوي
ومـا الحـب إلا كـروض غـدا بغيـر المـدامع لا يرتـوي[٣٨٨]
وقـد هجـرت مقلتـاي السـكرى كـأن يهـدبى رؤوس الإبـر

---

(٣٨٤) الأجرع: الرملة الطيبة المنبت، مسف: أي دان. الدجن: المطر الغزير . يقلع: ينكشف.
(٣٨٥) الشجي: المشغول والحزين
(٣٨٦) النعف: المكان المرتفع
(٣٨٧) أحناء الصدر: جوانبه ، هفت الريح: تحركت
(٣٨٨) ساوره: غالبه ، ثوى: أقام ، الأيم: الثعبان

ولو كان ما بي بهذا الغمام لأمطر بالجمر أو بالشرر(٣٨٩)
فجسمي أصبح كالشمع يغنيه سكب الدموع ووقد الحرق(٣٩٠)
فلا ألبس الثوب إلا وجسمي من تحت ثوبي كثوب خلق(٣٩١)
نحلت فأوزرتها ما خشيت رقيبًا يراني فيمن يرى
ولو زرت مية في يقظة لظنت بأني خيال سرى
يمر ولم أدر شهر فشهر كأني في فلك لم يدر
وأرتاح إما تمنيتها ويارب أمنية كالظفر
أسير ولا أرتضي بالعتاق ومضني وأجزع أن أبرأ(٣٩٢)
وإن سلمت خلتها ودعت وأحسب مقتربي منتأى(٣٩٣)
إذا كنت وحدي أكون وإياك أو خاليا فاشتغالي بك
وأطلب المجد والمكرمات لتحسن لي شيمة عندك(٣٩٤)
ليحنو قلبك رفقًا عليّ فالصخر بالماء قد ينبجس
وصوني الرداد وفيه الذماء فلن يورق العود إما يبس(٣٩٥)

---

(٣٨٩) "المعنى": يقول وقد هجرت عيوني المنام كأن أطراف هدبي أسنة الإبر، فإذا ما انطبق الجفن على الجفن منعته تلك الأسنة ولو كان الذي بي من الشجا وحرقته بهذا الغمام لا مطرنا جمرا وشرارا

(٣٩٠) الحرقة: ما يجده الإنسان من لدغة حب أو حزن

(٣٩١) الخلق: البالي

(٣٩٢) العتاق: الخروج عن الرق. المضني: الذي أثقله المرض

(٣٩٣) خلتها: ظننتها، المنتأى: البعد

(٣٩٤) الشيمة: الخلق

(٣٩٥) ينبجس: ينفجر، الذماء: البقية

لميـــــة خـــــد بـــــه وردة	تفتحـــــه نظـــرة أو خجـــــل
وقـــد تضـــيف إذا مـــا نثنـــي	يخـال بـه زنـج أو ثمـل[٣٩٦]
ووجـــه اذا مـــا نظـــرت إليـــه	نظـــرت لوجهـــك فـــي مائـــه
وجفـــــن ترنقـــــه فتـــــرة	كمســـتيقظ بعـــد إغفائـــه[٣٩٧]
كـــأني فـــي مـــدحها ســـاجع	ودمعـــي فـــي عنقـــي طوقـــه
تشـوق فـؤادي فـأثنى عليهـا	كعـــود يضـــوعه حرقـــه[٣٩٨]

الشيب والغزل:

زمـــــان إذا مـــــا تذكرتـــــه	تخيلتـــه حلمًـــا فـــي الكـــرى
وعهـــــد الشـــــباب كرؤيـــــا إذا	أمضت أدركتها نفوس الورى[٣٩٩]

أبي:

سـقت رحمـة الله الضـريح مـا مضـا	وروت بـه هامـا[٤٠٠] وروت بـه عظمًـا
يعـز علـى العيـاء أن يسـكن النـدى	ترابًا وإن تلقى مع الحسب الضخما
وإن تسكت الأجداث محراب ساجد	وكـان بـه التسـبيح يفعمـه فعمًـا[٤٠١]

---

(٣٩٦) قضيف: نحيف، تثنى: انعطف، الرنح: التمايل من السكر

(٣٩٧) ماء الوجه: رونقه ، ترنقه: أي رنق النوم في عينيه. الإغفاء: النوم

(٣٩٨) يضوع: ينشر رائحته

(٣٩٩) "المعنى": يقول وقد أعاد ذكر الزمن الذي وصفه في هذه القصيدة وهو زمان الصبا؛ أني أتخيله الآن كالحلم الذي يراه النائم في نومه، فإنه بعد انقضائه تدركه نفس الحالم ولك أن تقرأ هذا البيت هكذا:

وعهـــــد الشـــــباب كرؤيـــــا اذا	مـــا انقضـــت أدركتهـــا نفـــوس الـــورى

(٤٠٠) الهام: جمع هامة وهي الرأس

(٤٠١) يفعمه: يملأه

كأنك كنز قد دفناه في الثرى … كأنك غنم قد أحيل لنا غرمًا[٤٠٢]
كأنك شمس والجفون غمائم … حجبت أضواؤها انسجمت سجمًا[٤٠٣]
ألا في جوار الله مولى عهدته … يجبر على الأيام إن وهصت ظلمًا[٤٠٤]
له كنف ينمو لآل محمد … تؤم الملوك الصيد أبوابه أما[٤٠٥]
وكفان كانا كالفرات ودجلة … بريشان من خصا بجود ومن عما[٤٠٦]
وعلم هو اليم الذي قد تنورت … أو أذيه الوراد فاستنصروا اليما [٤٠٧]
وبطش لمن عاداه تحسب أنه … شهاب هوى في أثر عفوية رجما
وصدر هو الدهناء في الأزم فسحة … وليل سر عند أسراره كتمًا[٤٠٨]
وقول عريق في الفصاحة لو غدت … تساجله عرب إذا أصبحوا عجمًا
وعدل هو العدل الذي قد قضى به … أبو حفص الفاروق في طيبة حكمًا[٤٠٩]
فهذا أبي من بيت تيم بن مرة … إلى نضد من هاشم يفرع النجما
وما ذاك في مدحيه شعرًا وإنما … خلائفه إذا أوجدت له نظما

---

(٤٠٢) الغنم: الغنيمة . الغرم: الغرامة

(٤٠٣) انسجمت: أمطرت

(٤٠٤) وهصت: جارت

(٤٠٥) الكنف: الجانب؛ والمراد هنا الملجأ .أما: قصدا

(٤٠٦) بريشان: مضارع رأس ورأي فلان نفعه وأغناه وأعانه عما شمل

(٤٠٧) الأواذي: أمواج البحر

(٤٠٨) يقول إن له صدر فسيح الجوانب إذا اشتد دهر أو عض الزمان المساكين والضعفاء بأنيابه.

(٤٠٩) يقول: كان عادلا كعدل عمر بن الخطاب في حكمه

وصف ذلك:

أخــوض عبابًــا فــوق فلــك تظنهــا | علــى ســروات الــيم قصــرًا مشــيدًا
تهــادي بــه مثــل المقــارب وتــارة | ترقــى مــن الأمــواج صــرحًا ممــردًا
وتــرزم[٤١٠] حينًــا فيــه حتــى كأنهــا | تجوز على الملات حزنًا وقرددًا[٤١١]

المُضحك المبكي:

حمق الألى يحكمون الناس يبكيني | وســوء فعلهــم فــي النــاس يبكينــي
ما الذئب قد عاث بين الشأن أفتك من | هــذه الــولاة بهاتيــك المســاكين[٤١٢]

الشيب:

أشـــــــعرة بيضـــــــــاء أم | أول خـــــــيط الكفـــــــن
أم تلـــــك ســــهم مرســــل | لا يتقـــــي بــــــالجنن[٤١٣]
والـــــــزرع إن هـــــــاج | فقــد حــان الحصــاد وأنــى[٤١٤]
ففـــــي ســـــبيل الله مـــــا | عانيتـــــه فـــــي زمنـــــي[٤١٥]

كيف نصبر؟!

أشـــفاه تلـــوح أو ورق الـــورد | وعينــــان أم همـــا ســـــهمان
دربونـــا علـــى التجـــافي وإلا | فــاحجبوا بيننــا وبــين الحســان

([٤١٠]) ترزم: تقوم من الأعياد فلا تتحرك

([٤١١]) القردد: المكان الغليظ المرتفع

([٤١٢]) عاث الذئب: أفسد

([٤١٣]) الجنة: بالضم ما سترت من سلاح أو هي كل ما وفي والجمع جنن

([٤١٤]) هاج الزرع: يبس وأصفر، أني: قرب

([٤١٥]) عانيته: قاسيته

صغائر الأمور:

وفـي وسـعة المـر نيـل المـلا وقـد يمنـع المـرء مـا يمنـع
صـغير مـن الأمـر يلهيـه عـن بلـوغ العظـائم أو يقطـع
كعـين نحـيط بهـذا الوجـود جميعًـا ويحجبهـا إصـبع[٤١٦]

الحدة:

إن أحرجـوا صـدرك لانبعـث للقـذع بالفحشـاء أو مثلـه
فغضـبه الأحمـق فـي قولـه وغضـبة العاقـل فـي فعلـه

الجزاء:

لا تعجبـوا للظلـم ينشـي أمـة فتنـوء منـه بفـادح الأثقـال
ظلـم الرعيـة كالعقـاب لجهلهـا ألـم المـريض عقوبـة الإهمـال
ومـا أذن القـوم لمـا أقـاموا صـلاة الجنـازة يـوم الوفـاة
وأذن للطفـل يـوم الـولادة فهـذا الآذان لتلـك الصـلاة

الوجل:

الناس يخشون من جاء المليك وما لديـه لـولاهم فـي ملكـه جـاه
كصـانع صـنمًا يومًـا علـى يـده وبعـد ذلـك يرجـوه ويخشـاه

---

(٤١٦) "المعنى" يقول أم الأمر الصغير قد يشغل الإنسان عن بلوغ الأمور العظيمة فيمضي الممر وهو مشتغل عن تلك فيكون كالعين التي إذا نظرت أحاطت بهذه الدنيا جميعها ثم إذا وضعت أمامها الإصبع وهو أصغر شيء، حجبها عن ذلك الأمر الكبير .

المرأة الخبيثة:

بثينـــــة قــــد تـــــراءت بحمـــــــرة وبيـــــــاض
خبيثـــــة فـــــي جمـــــال كحيـــــة فـــــي ريـــاض[٤١٧]

(٤١٧) "المعنى" يقول إن بثينة قد تراءت في حمرة خدها وبياض وجهها، ولكنها أخفت سوء خلقها وفساد سريرتها، فكان مثلها كمثل الحية في الروض فإنها تسعى بين النور والزهر ولكنها قاتلة بأنيابها.

الفهرس